

اقراء

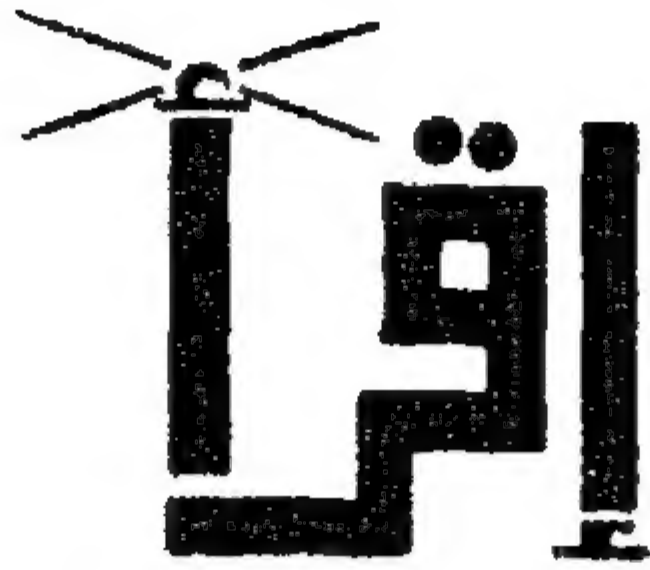
حوار مع

برتراند رسل وسائر



لطفي الخولي

دار المعارف بمصر



تصدر في أول كل شهر

رئيس التحرير: عادل الخضبان



دار المعارف بمصر



لطیفی الخولی

حوار مع

برتراند رسل و جان پول سارتر

۳۱۰

لقد

منازل المعارف و الفنون
K. ۱

اقراء ٣١٠ - اكتوبر سنة ١٩٦٨

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . ع . م .

هذا الحوار

يدور هذا الحوار مع عقليين ، هما بلا جدال ، من أنبغ وأنشط عقول عالمنا المعاصر ، وأعنى بهما الفيلسوف البريطاني « برتراند رسل » ، والفيلسوف الفرنسي « جان بول سارتر » .
والحق أنهما ليسا من نوع الفلاسفة الذين يلوذون بالصمت إلا عن الجدل الفلسفي النظري داخل أبراجهم العاجية ، فإذا ما تحركوا لم يخطوا إلى أبعد من قاعات الجامعات . لا .. إن « رسل » و « سارتر » من فلاسفة الحركة والنشاط الفكري والعمل في قلب الحياة المعاصرة ، دفاعاً عن الإنسان : حريته وأمنه ومستقبله في عالم متطهر من الاستبداد والاستعمار والحرب والاستغلال .

ولعل هذا هو ما جعلهما - رغم اختلاف اتجاهاتهما الفلسفية - يوحدان جهودهما في عمل مشترك هام ، وهو محاكمة العدوان الأمريكي على شعب فيتنام .

ولقد أتاحت لي الظروف أن أتعرف عليهما عن قرب ، وأن
يفتح لي كل منهما — برحابه — باب بيته وعقله . ومن هنا كان
حواري معهما .

وإذا كان هذا الحوار قد أكسبني — ذاتياً — متعة وفائدة
عظيمة ، فقد كان أيضاً طريقاً لعرض قضايا الوطن العامة
التي تشغل اهتمام ونضال شعوبنا العربية أمام هذين العقليين
الكبيرين .

وليس هناك بديل عن الحوار ، إذا أردت أن تكسب
لقضيتك مناصرين ومتفهمين ، وخاصة من وزن « رسل »
و « سارتر » . فإن إيمانك « بعدالة قضيتك » لا يكفي لكي
يراها الآخرون عادلة ، وإنما هم يرونها عادلة إذا اقتنعوا
بذلك . وللاقتناع طرق متعددة . . دراسة وثائق ، معاينة على
الطبيعة إلخ . . . ولكن يبقى دائماً « الحوار » في كل الظروف ،
الطريق الهام والذي يجب استمراره دون انقطاع .

ونحن نقع في خطأ فادح إذا رفضنا الحوار مع « الغير »
لمجرد أن هذا « الغير » قد أخذ في يوم ما موقفاً معادياً منا ، أو
أن له رأياً مسبقاً بالنسبة لنا أو لعدونا لا نقره عليه ، أو أنه لا
يتفهم قضيتنا على النحو المطابق لمطابقة شاملة لفهمنا لها .

إن هذا الرفض — فوق أنه موقف عاطفي لا عقلي — يعني تأمين كسب العدو لهذا الغير من ناحية ، كما يعني تقوقعنا وجمودنا عن الحركة من ناحية أخرى . وبالتالي فهو غير علمي وغير ثوري معاً .

ولا يكفي أن نسوق في تبرير هذا الرفض الحجة القائلة إنه لا فائدة من الحوار مع هذه العقول ، التي رغم نضجها وخبرتها ، لا ترى وجه العدالة في القضية ، فهذا — ليس فقط — نوع من الكسل العقلي ، وإنما هو أيضاً تجاهل لحقيقة موضوعية أكدتها الأحداث التاريخية . وأعني بها ، أن هذه العقول الكبيرة ترى الأمور والقضايا من مواقع جغرافية وتاريخية وفكرية ونفسية مختلفة عن مواقعنا ، وبالتالي فرواها الرؤية بالضرورة ليست متطابقة مع زوايا رؤيتنا . وكذلك فإن هذه العقول رغم نضجها العام ، تظل أسيرة — بحدود نسبية — لما يلقي إليها يومياً — عن طريق الصحف والإذاعة والتلفزيون والكتب — من تلوين خاص للأحداث ، فضلاً عن نشاط الدعاية المضادة واتصال كتابها ومفكرها بهذه العقول في حوار متصل ومتعدد الوجوه .

ولذلك فنحن نجد كثيراً من العقول الناضجة والكبيرة في أوروبا مثلاً تناصر — بوجه عام — نضال شعوبنا العربية ضد

الاستعمار والتخلف والاستغلال ، ولكنها — نتيجة ظروف خاصة — تتحفظ إزاء نضالنا ضد الواقع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني في فلسطين بالذات . ولعل في مقدمة هذه الظروف الخاصة رد الفعل التازيخي لدى المثقفين في أوروبا تجاه حملات الإبادة النازية لليهود . وما يقع نتيجة لذلك من خلط بين المشكلة اليهودية والصراع العربي الإسرائيلي .

إن كلا من « رسل » و « سارتر » ، يمثل اتجاهاً بين المثقفين في أوروبا ، يدرك نضال شعوبنا العربية نحو التحرر والاشتراكية والوحدة ويتعاطف معه ، وعلى الرغم من ذلك فهو في بعض القضايا الأساسية ، ما زال لا يتفهم بعمق وشمول وجهة النظر العربية مما جعله يتخذ مواقف معينة لا تتفق وحقيقة هذا الواقع ، ويتجلى هذا بشكل واضح فيما يتعلق بوضع وطبيعة دور إسرائيل وحقيقتها الموضوعية ، وعلى الرغم من هذا الاختلاف الجذري ، بل بسبب هذا الاختلاف يجب أن نتعرف — برحابة صدر — على وجهة نظر هؤلاء المثقفين ، وأن نشاير — من أرضية موضوعية وثورية — على الحوار معهم ، فنحن أصحاب قضية عادلة لا ينبغي أن نكف لحظة واحدة عن الدفاع عنها حتى تقتنع بها كل العناصر المعادية للاستعمار ، التي هي موضوعياً

وفي المدى الطويل قوة مناصرة لنا ، تاريخيًا .
وانطلاقاً من هذا التحليل ، حرصنا في « الأهرام » و
« الطليعة » ، على فتح أبواب الحوار مع جميع العقول الكبيرة
في عالمنا المعاصر ، والتي ترك بصماتها الواضحة على حركة
الإنسانية ضد الاستعمار والعدوان والاستغلال .

وفي هذا الكتاب أقدم نص الحوار الذي أجرته مع كل
من : « برتراند رسل » و « جان بول سارتر » .

والحوار مع « رسل » وقع خلال شهر سبتمبر عام ١٩٦٥
بمقره بمقاطعة ويلز بـ بريطانيا ، وأما الحوار مع « سارتر » فقد وقع
خلال شهر يونيو عام ١٩٦٧ بعد العدوان الإسرائيلي الاستعماري
وذلك بمقره بباريس .

وإذا كان الحوار الأول قد تميز بطرق موضوعات عديدة
من بينها قضية فلسطين ، فإن الحوار الثاني تركز - بسبب
توقيته بعد العدوان - على قضية الصراع العربي الإسرائيلي
فحسب .

وقراءة نصوص كل من الحوارين ، تكشف عن ظاهرة
هامية ، وهي أن رؤية قضايانا ليست واضحة ، وأحياناً
مشوهة ، أمام مثل هذه العقول التقدمية الكبيرة ، وليس من

شك في أن هذه العقول تتحمل قلراً من المسؤولية عن ذلك ،
ولكن يظل القدر الأكبر من المسؤولية يمسك بنا نحن أساساً .
ومن هنا كان عملاً ضرورياً وملحاً ، أن نفتح أبوابنا
ونخرج — بثقة ورحابة أفق وفكر علمي — إلى حلبة الحوار
والجدل بالساحة العالمية .

لطفى الحولى

القاهرة : يناير ١٩٦٧

حوار مع « برتراند رسل »

(سبتمبر ١٩٦٥)

كان أول شيء فعلته عند وصولي إلى لندن ، هو طلب
مقابلة داغية السلام العظيم في عصرنا ، المفكر والفيلسوف البريطاني
« برتراند رسل » . ولكنني فوجئت ، إذ علمت من تلميذه
وصديقه « رالف شونمان » سكرتير مؤسسة رسل السلام ، أن
« برتي » — كما يحلو لأصدقائه وتلاميذه أن ينادوه دائماً —
لا يقيم بصفة دائمة في لندن .. وأنه لا يحضر إليها إلا في المناسبات ..
قيادة مظاهرة من أجل السلام .. مناقشة من أجل تحريم
الأسلحة النووية وتدميرها .. إلقاء خطاب أو محاضرة ضد
العدوان على الكونجو أو الفيتنام أو الجنوب العربي .. دخوله
السجن — بعد إصراره على رفض دفع الغرامة المالية — كعقاب
له على تعكيره غير القانوني لصفوف المجتمع البريطاني بأعماله
الجماهيرية .. ولو كان من أجل صفو وأمان وسلام كل المجتمع

الإنسانى . ولم تكن هناك مناسبة لحضوره خلال أسبوع إقامتى
 بلندن . قلت لشومان :
 — ما العمل إذن ؟

— سأحدثه بالتليفون مساء اليوم فى بيته بمقاطعة ويلز
 وأتدبر معه الأمر .

و « رسل » يقيم بصفة شبه دائمة فى قرية منعزلة تطل بوداعة
 على بحر إيرلندا بمقاطعة ويلز تسمى « بنرينديوث » على بعد
 ٦٠٠ ميل من لندن .

وبعد منتصف الليل أيقظنى تليفون من « شومان » يبلغنى
 بأن رسل يدعونى لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معه فى ويلز .
 وشملتنى حالة من السعادة الغامرة لدعوة رسل . ولكن ما
 إن وضعت سماعة التليفون فى غرفى بالفندق حتى راح شعور
 بالقلق الغريب يتسرب إلى نفسى . ولم تنفع فى مقاومته كمية
 السجائر التى رحت أدخنها فى فراشى . ظلت أفكر طول الليل فى
 صعوبة مواجهة مثل هذا العقل الإنسانى الجبار الذى يحمله رسل .
 وفى الصباح هرعت إلى مكتبة « كوليت » العتيقة ، بحثاً
 وراء كتب لرسل ، وكتب عن رسل .

وخرجت من المكتبة أخيراً بكتابين ، أحدهما مجموعة

القصص الشيقة التي تروى « ليالى الكابوس » والآخر « هل للإنسان مستقبل » . ولم أكن قد قرأت لرسل من قبل علاوة على بعض المقالات والأحاديث المتفرقة غير ثلاثة كتب فحسب هي « طرق الحرية » و « مشاكل الفلسفة » و « مبادئ لإعادة البناء الاجتماعى » الذى ترجم للعربية بعنوان « نحو عالم أفضل » . المهم حبست نفسى مع الكتابين الحديدين طوال اليوم . وجاءت اللحظة التى بدأت فيها رحلة السمائة ميل مع « رالف شونمان » فى سيارته الصغيرة التى رحنا نخترق بها بسرعة مائة ميل فى الساعة عدداً من المدن والقرى الإنجليزية .

وخلال ساعات الرحلة الست ، تمكنت أثناء الدردشة التى لا بد أن تتسكع جيئة وذهاباً بين اثنين لا ثالث لهما يجمعهما مشوار طويل ، أن ألتقط من « شونمان » بعض معلومات داخلية مفيدة عن رسل .

فمثلاً عندما بلغ رسل السابعة والعشرين من عمره ، وكان ذلك فى عام ١٨٩٩ تنازل عن كل ما ورثه من ممتلكات بلغت قيمتها حوالى المليون جنيه إسترلينى إلى جمعيات البحث العلمى والدراسات الاشتراكية وتحرير المرأة ، وقرر أن يعيش من دخل عرقه وعمله فحسب . ومنذ ذلك الوقت وهو لا يعتمد فى

معاشه إلا على نتاج عمله . . لا يملك شيئاً حتى البيت الذى يعيش فيه « بويلز » ، أو البيت الصغير الذى يقيم فيه « بلندن » عندما يحضر إلى العاصمة . . كلاهما بالأجرة . إن رسل بهذا التنازل عن أمواله الموروثة أراد — كما يقول — أن يحرر نفسه من مرض عبادة المال وأن يجعل من العمل وحده محور حياته .

شيء آخر .. تزوج رسل أربع مرات . فى المرتين الأولى والأخيرة من سيدتين أمريكيتين ، أما فى المرتين الثانية والثالثة فمن سيدتين بريطانيتين . وله ولدان « كونراد » — مدرس للتاريخ بكلية برفورد بلندن ، و « جون » عضو بمجلس العموم ، وابنة واحدة متزوجة من « شارلس تات » . وكان موظفاً بوزارة الخارجية الأمريكية ولكنه استقال احتجاجاً على سياسة أمريكا العدوانية ، وعمل قسيساً — بروتستانتيًا ، مبشراً فى أوغندا . ويقول عنه رسل : « لقد احتج زوج ابنتى ضد أمريكا وضدى فى نفس الوقت . . استقال من وزارة الخارجية الأمريكية وعمل مبشراً مسيحياً على الرغم من أن حماه هو صاحب كتاب " لماذا لست مسيحياً " . . على العموم هو حر فى احتجاجه » ..

وزوجة رسل الأخيرة « لادى أيدث » تشاركه حياته

الفكرية والنضالية من أجل السلام . وكانت تعمل من قبل مدرسة للأدب الإنجليزي وأصدرت في عام ١٩٥١ كتاباً عن تاريخ حياة « بلنت » ، المحامي والسياسي البريطاني الليبرالي الذي دافع عن « أحمد عرابي » بعد هزيمة الثورة عام ١٨٨٢ ، وترغم حملة عالمية وقتذاك للعفو عنه .

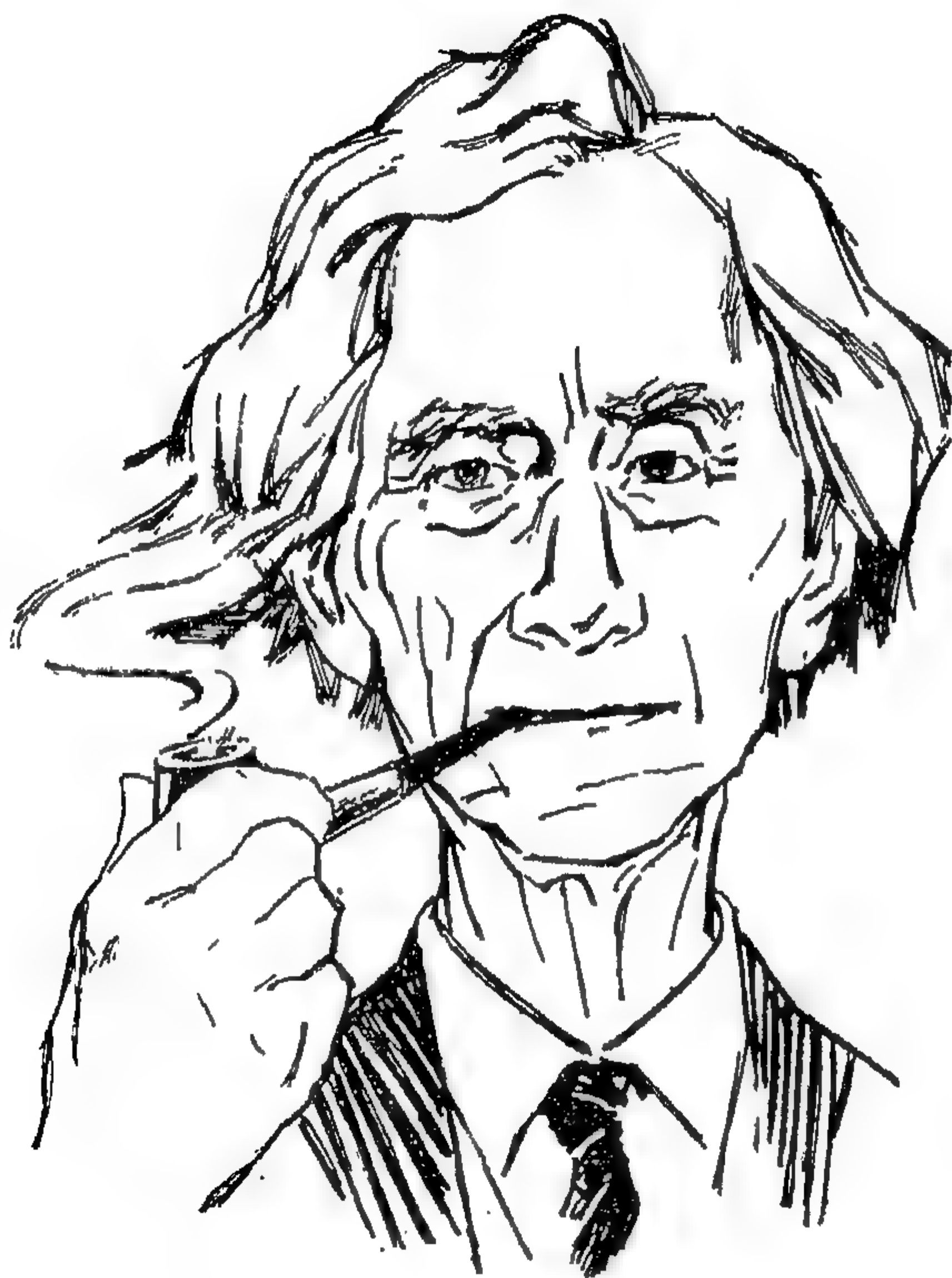
شيء ثالث . . . يعيش رسل منذ ثماني سنوات على تناول السوائل وحدها المطعمة بالفيتامينات ومواد كيميائية خاصة لتمنحه الإحساس بالشبع . وذلك بعد إصابته بالتواء في أمعائه ، يستحيل معه استقبال وهضم أي مواد غذائية غير سائلة .

وشيء رابع . . انتابت رسل خلال السنوات الأخيرة ثلاث أزمات من الأرق والقلق العصبي الشديد ، حتى لقد خشي المقربون منه على حياته . وكان ذلك على التحديد خلال كل من أزمة البحر الكاريبي بسبب كوبا ، والتي وضعت العالم على حافة الحرب في أكتوبر ١٩٦٢ ، ومقتل الرئيس كيندي في نوفمبر ١٩٦٣ ، وتمنحية خروشوف عن السلطة في الاتحاد السوفيتي في أكتوبر ١٩٦٤ . . وكان يقول دائماً لمن حوله : « إذا لم نتحرك في كل مكان بالسرعة الحاسمة والقوة الكافية فإن مجانين الحرب سيسيطرون على الإنسانية » .

وأخيراً . . . وصلنا إلى القرية الموعودة ، ورحنا نصعد الطريق الأخضر الضيق ، إلى الهضبة التي يتربع عليها بيت « رسل » المطل على البحر الأيرلندي . بيت متواضع ، أبيض في لون الحليب . ولحمت من نافذة السيارة رجلاً جالساً القرفصاء على باب البيت يداعب كلباً ، ولم أكن في حاجة إلى ما همس لي به « شونمان » لأعرف أن هذا الرجل هو رسل نفسه . . . كان شعره الأبيض الهايش فوق رأسه ، وسحابات البايب التي تماوج على صفحة وجهه تفصح عنه . ظلمت أحديق النظر فيه ، وصورته تكبر وتتحدد خطوطها أكثر فأكثر في عيني ونحن نقرب منه ، حتى إذا ما استقرت السيارة أخيراً على بعد خطوات من باب الدار ، تمرد الكلب على صاحبه ومرق من بين ذراعيه وراح يلف حول العربة ينبع مهتاجاً ، ورسل يقوم متقدماً خطوات محاولاً تهدئة كلبه بصوت عميق ساخن :

— « لا داعي لكل هذا الهياج . . . إنه رالف وصديق من مصر . . . لماذا تفسد علينا فرصة اصطناع الأدب الإنجليزي أمام ضيفنا المصري » .

ومد إلى — مع بسمته — يداً نحيفة ، ولكنها ، مستقيمة وثابتة . . . وقال مرحباً :



— « أرجو ألا تكون قد تعبت خلال الرحلة . أنا جد آسف
لأنى لم أستطع لقاءك فى لندن ، وسعيد جداً بقبولك دعوتى .
أرجو ألا أكون قد سببت لك إزعاجاً بتأخير سفرك . . رالف
أنخبرنى أنك أخرت سفرك خصيصاً من أجلى .
كان يتكلم ببساطة وسرعة ، لم أستطع أن أجاريهما بغير
الابتسام الحجول .

وأخرج ساعة قديمة من جيبه وتطلع إليها ثم قال :
— « الساعة السادسة والربع . . أظنكم تأخرتم ساعة على
الأقل » .

ولم أدر ماذا أقول . وبادر « شومان » بالقول :

— توقفنا أكثر من مرة بالطريق للفرجة .

عاد يقول :

— « هل أعجبك ريفنا ؟ »

وفى هذه المرة نطقت :

— لم أكن أظن أنه على هذه الدرجة من الجمال والتنسيق .

— « على العموم الفضل للمطر وللإنسان . . أعتقد أن

ريفكم فيه الإنسان، ولكنه مفتقد للمطر . . على العموم النيل

العظيم يعوضكم عنه . هذا هو الفرق على ما أظن » .

— وهناك على ما أعتقد فرق آخر هو أن الريف الإنجليزي ريف مجتمع صناعي متقدم ، أمد الفلاحين بالآلات الحديثة وبالكهرباء . أما ريفنا فهو ريف مجتمع ظل زراعياً متخلفاً مدة طويلة . . إن قيامنا بالتصنيع الآن سوف يطور الريف تطويراً جذرياً .

— « بلا شك . . . تفضلوا الشاى فإنه ينتظركم » .
وأصر « رسل » على أن أتقدمه داخل المنزل . وتحركت إلى الأمام بخطوات جانبية متأنية . كنت قد أعددت كلمات كبيرة لهذا اللقاء . ولكنى أحسست أمام تواضع الرجل وبساطته وروحه الفكاهة بسخافة كل ما أعددته من كلمات . . وشعرت وقتها أنى لو قلتها لكنت كذلك الممثل الذى يقف على خشبة مسرحنا بالقاهرة يصرخ بلغة عربية فصحي ، متقعرة متشنجة ، فى مسرحية مترجمة « يا سيدى اللورد العظيم » وكأنه يؤذن فى مالطة . . هو فى واد وجمهوره فى واد آخر تماماً ، أو ما شابه ذلك . واكتفيت بأن قلت وأنا أهم بالجلوس فى حجرة الصالون ذات الأثاث الإنجليزي القديم المريح .
— أنا شاكر لك دعوتك وإتاحة فرصة اللقاء معك .

— « بل أنا الذى أشكرك » .

وجذب « رسل » مائدة الشاي قريباً منه ، وراح يصبه في
الأقداح . وفجأة لمح « شونمان » شخصاً يتحرك في الحديقة
خلف الشرفة الزجاجية فهب سائلاً رسل :

— هل تنتظر أحداً يا برقي ؟

— « لا .. لماذا ؟ »

— هناك شخص غريب لا أعرفه يتحرك في الحديقة .

— « وماذا فيها؟ .. ليتحرك .. هو حر طالما لا يزعجنا .. لعل

شيئاً من جمال الطبيعة قد جذبته ولفت انتباهه .. دعه في حاله .»

ولوى شونمان رقبته وقال :

— برقي ! إنك دائماً تستخف بمسألة التجسس والمراقبة .

وانطلق خارجاً من الغرفة إلى الحديقة عبر الشرفة الزجاجية

يطارد الرجل الغريب في حين أطلق رسل ضحكة هادئة دافئة ،

وهو يقدم لي قدحاً من الشاي قائلاً :

— « إن رالف يشك دائماً في أن الحكومة تراقبنا وتتجسس

علينا حتى في المكالمات التليفونية .. ليفعلوا .. هم يعلمون تماماً

أننا نرتكب باستمرار جريمة العمل من أجل السلام ، ونحن لا

نخفي ذلك .. فاللعبة مكشوفة ولا جدوى للتجسس أو للإخفاء..

، كن يبدو أن كلا من الحكومة ورالف يجب دوره في اللعبة.

. . تصور أن رالف في حالات كثيرة يفضل أن يقطع مشوار لندن - ويلز ذهاباً وإياباً ، ليخطرني بأشياء أو يناقشني في أمور يمكن أن نسويها بالتليفون؛ في الأسبوع الماضي مثلاً قطع المشوار ليخطرني بأن "بيكاسو" أهدى منظمتنا صورة من رسمه لتباع لحساب تمويل نشاطنا السلامي . إنني أشجع دائماً نزعة الشك في الإنسان ضد كل المسلمات . . ضد كل التقاليد الموروثة . . ضد كل الأفكار الجاهزة . . ضد كل القيم المتعارف عليها . . هذا ضروري جداً لاستمرار عملية التطور المادي والمعنوي على السواء ، وخاصة إذا كانت تحرك الشباب وتدفعهم إلى تحدى الواقع وكشف جوانب جديدة منه تغني المعرفة الإنسانية . ولكنى ضد الشك في الإنسان . . أقصد في إنسانية الرجل ، ولو كان جاسوساً ، إن الشك فيه يزيد من عقده ولا يحللها . .

وقطع الحديث صوت رقيق لسيدة رقيقة ، بسيطة الثياب ، وقفت بباب الحجرة قائلة :

— برتى! ! ما الذى يفعله رالف بالجناين الحديد ؟

وضحك راسل وهو يفرك يديه في حبور تشوبه مسحة

ذات براءة صبيانية :

— « إذن هو الجنايني الحديد يا صغيرتي . . يا نحية أمل
 رالف ! »

واستطردت « الصغيرة أيدث » الى هاجم الشيب اشعر
 رأسها :

— لقد أمسك بستره الرجل وراح يمحطه بالأسئلة والرجل
 حائر مرتبك بين يدي رالف .

لماذا كل هذا يا برتي ؟

ودحرج راسل نظرة إلى زوجته تعمد أن يغلفها بالغموض
 المثير ، وهمس :

— « إنه يشك في أنه جاسوس »

— جاسوس ! جاسوس لمن ؟ وكيف علم رالف أنه جاسوس ؟

— « لا أدري : اسأليه . . »

— طبعاً : . هذه قضية خطيرة يا برتي .

وهرعت « الصغيرة » إلى الخارج بخطوات سريعة . في حين

غرق رسل في الضحك وهو يقول :

— « وهكذا تولدت في بيتنا قضية خطيرة من مجرد سوء التفاهم

والشك في إنسانية الإنسان . . تأكد أنه على مستوى الدولة وعلى

مستوى العلاقات بين الدول تتخلق قضايا خطيرة على هذا المنوال

وبهذا الأسلوب ، تهدد حياة وسلام العالم . . إن سوء التفاهم الذى تولد بين كيندى وخروشوف مثلاً عند أزمة كوبا المشهورة كاد يودى بالعالم إلى كارثة الحرب النووية لولا أن سيطر العقل والحكمة على الموقف قبل فوات الأوان . ويمكن فى أى وقت أن تفتعل من العدم ، نتيجة الشك فى إنسانية بعضنا بعضاً ، قضايا خطيرة بين رجال الحرب فى أمريكا وبين رجال الحرب فى روسيا أو فى الصين . وإذا بهم يتبادلون القنابل النووية والصواريخ ويدمرون العالم . . اسمع . . اسمع . . »

قالها بروح الطفل البريء الذى ما يزال يعيش فى أعماقه . . وترامت إلينا داخل الحجرة أصوات مختلطة فى الخارج « لرالف » والصغيرة « أيدث » تتشابك فى حوار :
— لكن لماذا يا رالف ؟

— مجرد شك يا أديث . . لم أكن قد رأيته من قبل .
— هل تعرف عنه شيئاً من قبل ؟
— إطلاقاً . أقول لك مجرد شك فى رجل لم أره من قبل .
— لم أكن أعرف أنكم استخدمتم جنائناً جديداً .
— ولكن برنى يقول إنك تظن أنه جاسوس .
— لقد قلت له ذلك قبل أن أعرف أنه الجنائى الجديد .

— ولكن . .

وابتعدت الأصوات أو سكنت وارتفع صوت « رسل »

يقول :

— « ستظل ” لكن “ هذه تلون نظرة زوجتي إلى الجحنايى

المسكين مدة طويلة ، وتؤول تصرفاته وسكناته . وسيشعر هو
بنظرة الشك فيرتبك ، وربما أثر ذلك في تصرفاته فعلاً . .
حلقة مفرغة . . رالف شك ، أيدت تسأل ، برقي قال . . لكن
هل صحيح الرجل فعل كذا ؟ وهكذا . . وربما تولد عن هذا
رأى عام في البيت ضد المسكين على أساس أنه جاسوس وربما
امتد إلى القرية كلها . . إن أصحاب المصالح المعادية للسلام
والأمن والديمقراطية والحرية والاشتراكية في المجتمعات ، كثيراً
ما ينجحون في زرع أوهام من هذا النوع ، ويكونون بأساليبهم
الشیطانية من حول هذه الأوهام رأياً عاماً لصالحهم يقاوم كل
تطور أو تقدم ، ويعدم ثقة الناس بعضهم في بعض . ولذلك
فإن علينا أن لا تقع في هذا الأسلوب أو نمارسه . .

وعاد رالف . وسأله رسل :

— « ماذا اكتشفت ؟ »

— إنه الجنايتى الحديد . . واعتذرت له .

— « فعلت خيراً لأنك أسرعت فى الحكم عليه . . لقد برد شايتك خلال قيامك بمطاردة الرجل المسكين . أرجوك أن تطلب من أيديث بعض الماء الساخن . »

وذهب شونمان لإحضار الماء الساخن . إن « اللورد برتراند رسل » الذى تعدى التسعين من عمره ، وزوجته « الليدى أيديث رسل » التى بلغت السادسة والخمسين ، يعيشان معاً فى منزل بسيط دون خدم أو حشم . فقط تساعداهما امرأة لمدة أربع ساعات يومياً تقوم بأعمال النظافة وتنصرف .

وفتح راسل باب الحديث مرة أخرى . قال :

— « أود أن أشكركم فى ” الأهرام ” و ” الطليعة ” على الاهتمام بمقالاتى ورسائلى ونشرها ، وإنى لسعيد أن يكون لى ” قراء ” فى مصر والبلاد العربية . »

— إننا نحن الدين نشكرك . وتأكد أن القاهرة مفتوح بابها بترحاب وتقدير دائماً لآرائك وأفكارك ومقالاتك .

— « حتى لو كنتم تختلفون معها ؟ »

— أظن أن الاختلاف فى وجهات النظر مقبول ما دام

موضوعيًا ، وأعتقد أن التجربة قد دلت على أن اختلافنا لم يمنعنا يوماً من الاستماع الكامل مع الاحترام لآرائك ومناقشاتنا .
 — « هذا صحيح . ولا أخفى عليك أنه أدهشني بعض الشيء .
 لا أقصد بالضبط معنى الدهشة وإنما حيرني . . بصراحة مصر سببت لي حيرة كبيرة » .

— لماذا ؟

— « إن الصورة التي تكونت لدى من قبل عن مصر ، أنها وقعت في قبضة الدكتاتورية العسكرية منذ ١٩٥٢ . وهي صورة تكونت طبعاً من السماع وقراءة صحفنا ، وليس من المشاهدة الواقعية ، لأنه لم يتح لي أن أزور مصر للأسف . ولكن إذا بمصر تعلن الاشتراكية وبناء مجتمع متطهر من الرأسمالية . . وأقول لنفسي كيف تقوم الدكتاتورية ببناء الاشتراكية ؟ ثم أجد من يأتي ليتمول لي وماذا تقول عن المعتقلين والمساجين في مصر بسبب آرائهم ، وأسمع بعد ذلك بالإفراج عنهم : ولكني أسمع في نفس الوقت عن عدم توافر الديمقراطية ، وضماناتها . ثم يجيء نشركم لرسالتى في " الطليعة " إلى المثقفين العرب كاملة بكل ما وجهته فيها من نقد لبعض الأوجه في التجربة المصرية وفي الحياة العربية بوجه عام ، ومناقشتكم لها علناً . . إن نشر

النقد معناه حرية التعبير . . . وحرية التعبير معناها الديمقراطية .
ثم نسمع عن دعوتكم التي يتزعمها بقوة الرئيس ناصر تحت شعار
القومية العربية والتي تعطى هنا انطباعاً بأنكم تريدون السيطرة
على البلاد العربية . ولكننا في نفس الوقت نسمع عن مواقفكم
ومواقف الرئيس ناصر شخصياً مع ثورات التحرير الوطنية في
كل مكان ومع السلام العالمي وضد العدوان الأمريكي . . . وطبعاً
هذا موضع تقديرى العميق . . . ولكن ماذا عن أوجه الصورة
الأخرى ؟ هذا هو مصدر حيرتى إزاء التجربة المصرية . . . أرجو
أن يتسع صدرك لكلمات رجل تعدى التسعين ويعيش على بعد
آلاف الأميال من وطنكم . . . ولكنه يحاول جاداً وصادقاً أن
يفهمكم خاصة وقد أصبح الآن بعد تحرركم تلعبون دوراً
رئيسياً في مصير العالم ومستقبله وهذا ما يهمنى .

وسكت « رسل » لحظات شغل نفسه خلالها بحشو غليونيه
ثم استطرد قائلاً :

— « إذا كان الكلام في هذا الأمر يخرجك ، فلنصرف
النظر عنه . لا أريد أن أسبب لك مشاكل . . . وعلى العموم
الحديث بيننا لن يخرج من هذه الحجرة . . . أنا أريد المعرفة
فقط . »

وابتسمت وأنا أقول لنفسى : « إذا كان كل هذا التشويه قد
نقذ إلى رسل فما بال الرجل العادى فى بريطانيا أو أوربا » ،
وقلت لرسل :

— لا مشاكل بالمرة . على العكس إنى أرحب بأن يخرج
الحديث من هذه الحجرة . وإنى أريد أن أستأذنك فى نشر
حوارنا هذا كاملاً « بالأهرام » فى القاهرة .
— « كما تشاء . لا مانع عندى . . ولكن هل لى أن
أسألك ، لماذا ؟ »

— لسببين : أولاً لأثبت لك عملياً زيف الصورة التى
نسجت هنا فى بريطانيا وفى أوربا عامة عن التجربة المصرية
سواء بحسن أو بسوء نية . وثانياً : لأطلع مواطنى على كيفية تصور
جهودهم وثورتهم تصويراً مشوهاً حتى لدى صديق عظيم
كبرتراند رسل .

— « شكراً لتلقيبك إياى ” بالصديق “ » .

— هذه هى مشاعرنا الحقيقية تجاهك فعلاً .

وأطلق « رسل » ضحكته الدافئة وهو يلوح بغليونه فى الهواء :

— « لا تنفخنى بالغرور . . هل أنا بهذه الشهرة حقاً فى

وأحسست (بالإنسان في رسل) يلح في معرفة أبعاد قيمته خارج بلاده ، فاستطردت قائلاً :

— في مصر والوطن العربي كله .. لا أقول لك هذا مديحاً ذاتياً .

إنه حقيقة . ونحن في مصر مثلاً نعرف « اثنين رسل » . رسل باشا^١ حكمدار بوليس القاهرة خلال ثورة ١٩١٩ وكان أداة باطشة من أدوات الاستعمار والرجعية الحاكمة ضد شعبنا ، وبرتراند رسل المفكر والفيلسوف وداعية السلام العظيم في عصرنا . ويقدر ما ندين الأول ، وأظنه عمك ، بقدر ما نحترم ونقدر الثاني ونقرأ له ونترجم كتبه وأبحاثه .

وراح رسل يفرك يديه مسروراً ، وهو يقول :

— « أولاً رسل باشا ليس عمي ولكنه مجرد قريب . وإذا

كنت أطمع في أن تستمروا في التمييز بينه وبينى في الأفكار والاتجاهات والسلوك ، فأظن أن رسل باشا على الرغم من موقفه الاستعماري البغيض كان له على ما علمت بعض الفضل في محاربة تجارة الخشيش في مصر » .

— وهناك من يؤكد أنها كانت محاربة شكلية ، لأن الاستعمار

قد عمل على تشجيع تجارة وإدمان الخشيش كجزء من سياسته لمحاولة تحطيم معنويات الشعب المصري .

— « جائز . . جائز جداً . ولكن هل تعلم أن احتلالنا . .
 أقصد احتلال الاستعمار الإنجليزي لمصر بالذات كان
 إحدى الصدمات العنيفة التي أصابني وهزني وجعلتني
 أنفصل ، فكراً وحياة ومصيراً ، عن طبقتي الاستعمارية التي
 نشأت وتربيت فيها .
 — كيف ؟

— « كان لي مربية ألمانية ، صارمة ومثقة ، ما زلت أذكر
 حتى الآن وجهها البيضاضوي الكبير القاسي القسما ، اختارها
 لي جدي الذي عشت معه بعد وفاة والدي ، لترعاني وتنشئي
 على النظام والطاعة فقد كنت ولداً مشاكساً مغامراً لا يحترم التقاليد .
 ولكن جدي لم يدر بأن هذه المربية الألمانية لم تكن تكره في
 الوجود شيئاً قدر كرهها للإنجليز واصلفهم وكبريائهم ونفاقهم ..
 وطبعاً لقنتني هذا كله مع حب النظام في العمل . وكان احتلال
 الإنجليز لمصر ، الذي زعموا أنه مؤقت وأنهم سيجلون عاجلاً عن
 أرض النيل ، هو الموضوع الذي ظلت المربية الإنجليزية تطرقه
 معي باستمرار كدليل على الكذب والخداع والتفاق الإنجليز .
 وكنت أقاومها وأؤكد لها بأننا سننجلوا عن مصر طالما وعدنا بذلك .
 وكانت هي على العكس تؤكد لي أن الاحتلال مستمر ولن

يخرج الإنجليز من مصر إلا عنوة بثورة مصرية . . وطبعاً أكدت الأحداث صدق رأيها وبددت آمالي في أن يفي الإنجليز ، بنو وطني ، بوعودهم . ودفعني للثورة على كل طبقتي وتقاليدها وأفكارها ونظمها . وللأسف لم تعش مربيتي حتى جلاء الإنجليز عن مصر ، كما توقعت ، ونتيجة لثورات متوالية كان آخرها ثورة ١٩٥٢ .

قلت : ولم تر أيضاً كيف حاولوا أن يعودوا مرة أخرى بعدوانهم مع الفرنسيين والإسرائيليين عام ١٩٥٦ بعد تأمين قناة السويس . ولكن ردتهم مقاومة الشعب المصري .

وضحك رسل طويلاً قبل أن يقول :

— « لو كانت حية حتى عام ١٩٥٦ . ورأت بلاهة الاستعمار الإنجليزي وهزيمته ، لمانت وقتها من الفرحة . يا إلهي . . كم كانت تكره الإنجليز . »

وعاد شونمان إلى الحجرة بالماء الساخن وفوجئ بموجات الضحك المتبادلة بين رسل وبينى فتساءل .

— مم تضحكان ؟

وهمس رسل :

— « عن مربيتي الألمانية . . ولكن باحترام . . نعم !
بكل احترام . . »
وفغر « شونمان » فمه دهشاً :

— مربيتك ؟ وما علاقة مربيتك بلطفي . . لا أظن أنه
أتيحت له فرصة معرفتها .

وانفجر رسل ضاحكاً ، وهو يربت مسندي مقعده بيديه :
— « لا . . لا . . علاقته بها أنه مصري . . وكانت مربيتي
تقول لي عن مصر . . والإنجليز . . هه . . لا . . لا . . هذه حكاية
طويلة ومعقدة أحكيها لك فيما بعد . . فيما بعد . . »

وفجأة شعرت « برسل » يسرح بعيداً وعيناه تغيمان ونزل
به الصمت وهو منهمك في صب الماء الساخن داخل إبريق
الشاي . وأرسلت نظرة قلقة إلى شونمان ، فبادرنى قائلاً :

— أتركه خمس دقائق . . إنه يريح نفسه من إجهاد الحديث .
هذه عادته . . لا تنسى السن . . ثلاثة وتسعون سنة . . قل ما
هي حكاية المربية ؟

ورحت أروي له الحكاية وأشاركه الضحك عليها من جديد . .
وإذا « برسل » يلتفت إلينا سائلاً :

— « ما الذي يضحككما ؟ »

وسارع « شونمان » إلى الرد :

— مريبتك الألمانية يا برقي !

واعتدل « رسل » في جلسته ، يواصل حديثه من حيث انقطع تماماً ، وكأن الخمس الدقائق التي غاب فيها عنا ، لا حساب لها ولا أثر .

— « دعنا من الماضي . . ماذا عن مصر الآن . . مصر الحاضر والمستقبل . لقد أوضحت لصديقنا حيرتي . . وأكد لي أن الصورة التي لدينا عن مصر الآن ، فيها تشويه . فهل يمكن أن نعرف أين التشويه ؟ »

وأدار شونمان رأسه ناحيتي مع سؤال رسل . وهيات نفسي للإجابة وللحظة داهمتني الحيرة . . من أين أبدأ ؟ وبسرعة قررت أن أدخل إلى الموضوع بالفتاح الذي قدمه رسل حينما قال : « ولكننا في نفس الوقت نسمع عن مواقفكم وواقف الرئيس ناصر شخصياً مع ثورات التحرير الوطنية في كل مكان ومع السلام العالمي ضد العدوان الأمريكي . . » .

وقلت :

— وهل يمكن تصور أن في قدرة الشعب المصري وجمال عبد الناصر القيام بهذا الدور ضد قوى الاستعمار العالمي ، القديمة

والجديدة ، ومحاربتها سياسياً ودعائياً ، وبالمساعدة العسكرية والمادية أحياناً كما حدث في الجزائر والكونجو والجنوب العربى . وبالتدخل المسلح المباشر أحياناً أخرى كما حدث بالنسبة لثورة الشعب اليمنى . . هل كان يمكن ممارسة هذا الدور بكل هذه الحيوية لو أن الشعب المصرى غير متحد وغير واع بما يفعله ، وبالتالى يملك حريته ومصيره بين يديه ، أو كان جمال عبد الناصر دكتاتوراً ؟ إن قوى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ وضعت حساباتها على أساس أن الشعب المصرى يثن تحت حكم دكتاتورى عسكرى ، وأنه ما إن يرى جيوش الإنجليز والفرنسيين تقتحم البلاد لإسقاط ناصر حتى يتحالف معها ليخلص نفسه من الحكم الدكتاتورى . فماذا حدث فى الواقع . .

— « حدث العكس تماماً .. وهذا من حسن حظ التاريخ » .

— بالضبط . وإذا بالشعب والجيش وناصر قوة واحدة

متماسكة تقاوم العدوان حتى تلحقه فى بورسعيد والسويس .

— « ليت مربيى الألمانية كانت حاضرة معنا الحديث .. »

— وخلال هذا العدوان لم يحارب الشعب المصرى وحده . .

ولنما حاربت معه كل الشعوب العربية ، قطعت أنابيب

البرول ، وأرغمت حتى الحكومات الرجعية العربية وقتذاك على

أن تقطع علاقاتها مع بريطانيا وفرنسا . وكشفت معركة العدوان ما سبق أن كشفت عنه مؤامرة اغتصاب فلسطين من أن البلاد العربية تواجه مصيراً مشتركاً واحداً ، وأنه لا بد من بناء وحدتها القومية . . وعلى هذا الأساس قامت أول وحدة بين مصر وسوريا في عام ١٩٥٨ .

— « ولكن هذه الوحدة لم تصمد حسب علمي . وإنما أصابها الانفصال بعد سنتين أو ثلاث : . هل يمكن القول بأن أسس الوحدة القومية غير متوافرة ، وأن المسألة — كما يقولون — هي عملية فرض للوحدة من جانب الرئيس ناصر ؟ »

— إن انفصال سوريا عن الوحدة وقع بعد أن صدرت قوانين يوليو ١٩٦١ التي فتحت الطريق للتحويل الاشتراكي في الجمهورية العربية المتحدة بإقليميه المصري والسوري وقتذاك . ومن الذي قام بالانفصال؟ وكيف قام؟ قام به أصحاب المصالح الإقطاعية والرأسمالية الكبيرة في سوريا بتمويل وساندة من القوى الاستعمارية والرجعية في المنطقة، المعادين لأي تحول اشتراكي . واستخدموا في هذا مجموعة من العسكريين المغامرين قاموا بانقلاب عسكري . . وإذن فالانفصال هنا في حقيقته ثورة مضادة ، ضد الثورة التحررية العربية وتطورها نحو الاشتراكية

ولأن هذا الانفصال معاد لحكم الواقع الثورى والتاريخى فى البلاد العربية لم يستطع حكم الانفصال أن يعيش . . لفظه الشعب السورى نفسه. وليست القومية العربية والوحدة العربية « اختراعات » سياسية حديثة ، ولكنها نداء الأجيال المتعاقبة قبل ظهور ناصر بزمان بعيد. وتقوم قومياً على أساس وحدة الأرض واللغة والناس والتكوين التاريخى والحضارى والنفسى والروحى المشترك ، والمصالح الاقتصادية المشتركة . ثم هناك نقطة أخرى . . لقد كانت هذه البلاد موحدة - علوياً - سياسياً واقتصادياً تحت حكم الاستعمار سواء العثمانى أو البريطانى فى المشرق ، والفرنسى فى المغرب . فلماذا تصبح الوحدة جريمة إذا جاءت من أسفل نتيجة إرادة الشعوب نفسها ووعدها لمصيرها المشترك . والهجوم الذى ينصب على مصر وناصر هنا ، هو هجوم استعمارى رجعى يهدف ضرب قلب هذه الوحدة . فمصر بحكم أنها أكثر البلاد العربية تطوراً وسكاناً نسبياً، تلعب دوراً رئيسياً فى عملية الوحدة وخاصة بعد تحررها السياسى والاقتصادى الكاملين نتيجة ثورة ١٩٥٢ ومعركة السويس عام ١٩٥٦ . ويزداد الهجوم طبعاً بانتهاج مصر طريق الاشتراكية ، لأن الوحدة العربية حينئذ لا يمكن أن تكون إلا لصالح الطبقات الشعبية صاحبة

المصلحة في بناء الاشتراكية . . أرجو أن أكون واضحاً .
وتوقفت عن الحديث ، ورحت أبحث في جيوبى عبثاً
عن سيجارة أشعلها . كانت كل سجائري قد نفدت . .
وقام « رسل » فأحضر علبة سجائر فضية وقدمها لى قائلاً :
— « يبدو أنك مثلى مدمن تدخين . . إن الباب لا يفارقي
تقريباً إلا عند النوم » .

— ولكن ماذا نفعل الآن أمام تقارير الأطباء عن خطر
التدخين وعلاقته بالسرطان . .
وصدرت عن رسل حلقات متتابعة من القهقهات قبل أن
يقول :

— « لا تصدق . . إنها تخمينات حتى الآن لم تثبت علمياً
بشكل قاطع . وعلى العموم فإن وجودى شخصياً أمامك بصحة
جيدة . . . كالحصان . . أدخن بلا انقطاع منذ أكثر من
ستين عاماً ، دليل على ذلك » .

وراح رسل يحشو غليونه ببطء ومزاج . وبدأ كما لو كان
في نفس الوقت يحشو في فمه ذلك السؤال الذى جرى بكلمات
متمهلة على لسانه :

— « لقد تحدثت عن انفصال سوريا واتهمته بأنه كان

انقلاباً عسكرياً ... ولكن ، إذا لم أكن مخطئاً ، أليس ما حدث في مصر في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان أيضاً انقلاباً عسكرياً؟“
 — فعلا كان انقلاباً عسكرياً في الشكل والصورة . ولكنه كان ثورة تحررية تقدمية في المضمون والمحتوى . . وهذا هو الفارق الأساسي . أنا أعلم أن الانقلاب العسكري يثير بطبيعته الشك والنفور من جانب كل التقدميين والديمقراطيين في العالم . وكأني لمست بهذه العبارة الأخيرة « وترأ حساساً » في رسل فقد أحسست به وكأنه ينتفض ، حينما نطق بانفعال :
 — « بالضبط . . بالضبط »

واستطردت قائلاً :

— هذا هو بالضبط منبع سوء الفهم الذي وقع فيه كل الديمقراطيون والتقدميين في العالم — ولا يزال بعضهم حتى الآن — بالنسبة لرؤية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر . لقد وقفوا عند شكل الحدث الثوري دون التعرف على حقيقته الموضوعية وجذوره ، فاعتبروه مجرد انقلاب عسكري . . ولكن إذا بهذا الانقلاب العسكري يواصل المعركة التاريخية ضد الاستعمار السياسي والاقتصادي بلا هوادة ، حتى يحقق لأول مرة في تاريخ مصر الحديث الاستقلال الكامل والحقيقي . وإذا به يصني الأسرة

الملكية ورواسب الإقطاع والاحتكارية الأجنبية والرأسمالية الكبيرة الريفية والصناعية والمالية والتجارية ويشق الطريق بإصرار ووضوح نحو الاشتراكية .

وقاطعني « رسل » بحماس :

— « ولكن ما هي الظروف التي جعلت هذه الثورة تنفجر بهذه الصورة . . لا بد أن لذلك أسباباً موضوعية ، إذا مضينا مع تحليلك ، نخصوصاً وأنا أعرف أن لشعبكم من قبل عديداً من الثورات الشعبية الجماهيرية . . ثورتكم ضد الفرنسيين . . ثم ثورتكم ضد الإنجليز في البداية بقيادة عرابي وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى بقيادة زغلول . . سعد زغلول . . أليس كذلك ؟ » .

وحركت رأسي بالإيجاب : وقابعت حديثي وقد عداني « رسل » بحماسة :

— إن معرفتكم الواسعة والعميقة بتاريخ بلادى ، والتي تظهر من خلال حديثكم ، لا يغيب عنها بلا جدال أن كل هذه الثورات قد انتهت إلى إحدى نتيجتين ، إما الفشل والانكسار كما حدث بالنسبة لثورة عرابي ، وإما المساومة والحلول الوسطى ، في إطار التضال مع الاستعمار . كما حدث بالنسبة لثورة

١٩١٩ . . لماذا ؟ هناك طبعاً أسباب متعلقة بطبيعة القيادات
الطبقية لهذه الثورات . ولكن هناك أيضاً أسباباً أخرى ،
ونخاصة في الظروف المعاصرة لثورة يوليو ١٩٥٢ . إن مصر كما
تعلمون كانت واقعة مباشرة تحت القبضة المباشرة للاستعمار
البريطاني . وكانت قوات الاحتلال في عام ١٩٥٢ تبلغ ٨٠
ألف جندي ، تراقب بعين مفتوحة مع السراى والطبقة الحاكمة
وجهاز دولتها كل تحرك شعبي منظم وثورى مكشوف ، وقادرة
على البطش به وتخريبه بكل ما تملكه من إمكانيات ووسائل ..
كذلك فإن الطبقات الشعبية كانت مفككة وضعيفة ، وفضلاً
عن ذلك فإن طبيعة مصر الجغرافية الحالية من أية جبال أو مرتفعات
أو غابات تساعد على تحصن تنظيمات ثورية بها وإدارة حرب
عصابات ، لم تكن مواتية لقيام ثورة شعبية بالمفهوم التقليدى .
ومن هنا كان لا بد لأى قيادة واعية تتصدى لممارسة الثورة من
أن تبحث عن أسلوب آخر . وهذا ما فعله جمال عبد الناصر ،
لقد كون تنظيم الثورة من الضباط الأحرار داخل الجيش .
وحول بذلك جهاز القسر والقهر من أداة باطشة بالشعب ، إلى
أداة تمارس العمل الثورى وتلتحم بالشعب منذ اللحظة الأولى .
ومن هنا كانت صورة الانقلاب العسكرى للثورة .

كان رسل نخلال الحديث قد سدّد نظراته إلى فصافحتي
عيناه اللتان. تشعان ذكاء وضياء من نخلال التجاعيد التي
تحاصرهما وعندما توقفت مد إلى يده بسيجارة جديدة
وقال :

— « هذا حسن . . هذا يفسر كثيراً من الأمور . . لماذا
لا تنشرون هذا الكلام ؟ ولا تناقشون هذه الأوضاع علانية ،
إننا لا نعرف شيئاً هنا عن هذه الأمور » .

— نحن ننشره ونناقشه . . ومجتمعنا اليوم يموج بمناقشات
واسعة وصريحة حول طبيعة الثورة وأهدافها ومشاكل البناء ونقد
الأنخطاء . ولكن ما يحدث بالنسبة لغالبية من يزورنا من
الصحفيين والكتاب الغربيين هو أنهم يفعلون مثل ما يفعل
« السياح » يأتون لمجرد الفرجة العابرة ، وفي غالبية الأحيان لا يتاح
لهم الاتصال — بسبب اللغة — إلا بالعناصر المعادية للثورة والذين
صفت امتيازاتهم الاستغلالية . . فهي التي تستطيع أكثر من
القوى الشعبية التحدث باللغات الأجنبية .

وهنا فاجأني « رسل » بسؤال :

— « لأي طبقة ينتمي الرئيس ناصر ؟ »

— يمكن القول اجتماعياً أنه ينتمي — بحكم المكانة الوظيفية

لأسرة والده كموظف صغير في الحكومة ، ثم له شخصياً كضابط بالجيش - إلى الطبقة المتوسطة .. وأقول اجتماعياً لأنه من الناحية الاقتصادية لا يملك شيئاً على الإطلاق - قبل وبعد رياسته للجمهورية - غير مرتبه الشهري فحسب . وهو بهذا يمثل استثناء فريداً في تاريخ حكام مصر . وهذه طبعاً ميزة كبيرة . - ليست ميزة فحسب . إن هذا من حسن حظ الشخصى والموضوعى كقائد ثورة وكحاكم . وهذا يفسر جانباً كبيراً من حريته في الحركة وشجاعته في اتخاذ القرارات التاريخية لصالح شعبه دون ما عوائق أو عقد نفسية . لقد وضعت الآن أصبعى على مصدر هام من مصادر قوته وحيويته . لا تتصور مدى سوء الحظ الذى يصاب به إنسان تقدمى لو كان مالكاً وصاحب ثروة . لقد كنت أنا شخصياً من سيئى الحظ الذين ولدوا مالكين وأصحاب ثروة . ولو لم أستطع التخلص من هذه الأثقال المربعة في وقت مبكر ، لأصبحت أسيرها في فكرى وحركتى ومسيرى . ولربما كنت أصبحت من نوع تشرشل أو إيدن أو ماكميلان أو جونسون بل ربما أسوأ منهم جميعاً . إن جرثومة الملكية إذا تمكنت من الإنسان شحذت فيه إلى أقصى حد غريزة الاقتناء . وهذه الغريزة تتشكل في صورة

نزعات هدامة تؤدي به إلى عبادة المال أولاً وأخيراً على حساب كل القيم . ولهذا يصبح هذا الإنسان سجين منطق وحركة ما يعبد . . وهو المال .

انظر إلى المليونير الأمريكي مثلاً أو في الغرب عموماً . . إنه يملك بالفعل كل الإمكانيات المادية التي تجعله يعيش حياته على أعلى مستوى بلغته الإنسانية . ولكنه مع ذلك لا يشبع ولا يكتفى . . تراه ينطلق إلى مزيد من العمليات والصفقات يستغل ويسرق جهد الآخرين ويفلس منافسيه ويهدم كل القيم ويخلق أزمات الجوع والبطالة والحرب من أجل أن يزيد من رصيد ثروته المالية باستمرار . . وتراه في هذا المجال يعمل بلا كلل ليل نهار وكأنه يجري وراء لقمة عيش تقيه غائلة الجوع أو ليضمن ثمن عشاءه .

وإذا استحكمت عبادة المال كقيمة اجتماعية أو نزعة "مشروعة قانوناً" في مجتمع ما ، خربته معنوياً ثم مادياً تخريباً شاملاً . إن عبادة المال تصبح هدفاً في حد ذاته . ويتحول المجتمع إلى غابة من الوحوش تنهش بعضها بعضاً . . وليس في هذا فرق بين غابة الأدغال قديماً ، وغابة الصالونات والبورصات والبنوك الحديثة . إن كل شرور عالمنا المعاصر ، ابتداء من

الدعارة حتى الحرب ، مصدرها الرئيسى عبادة المال .
والإنسان لا يمكن أن تتفتح فيه نزعات بناء السلام والخلق
والابتكار وحب الغير واحترام المرأة كإنسان ، وكل هذه
النزعات الإنشائية ما لم يستطع أن يظهر نفسه من عبادة المال ..
إن هذا التطهر يمنحه قوة هائلة على الحركة البناءة الحيرة الواعية
بمسئولياتها نحو الإنسانية ككل لا يتجزأ .. هذا التطهر يجب
أن يكون مسئولية جيلنا الحاضر من أجل سعادة المستقبل ..
لست متشائماً فى المدى البعيد . ولكن .. كم يورقنى المستقبل
القريب للإنسانية .

كانت كلمات « رسل » برنينها الحشن الدافئ ، تتوهج
بالضياء وسط الغرفة التى راحت ظلمة الليل تحتضنها فى سكون.
ونهض الرجل من مقعده يخطو خطوات متمهلة وهو يتمم بلا
توقف ، وكأنه يرتل مع نفسه تعويذة مقدسة « المستقبل !
المستقبل ! » . أشعل النور .. ارتكن إلى زجاج الشرفة الواسعة
المطلّة على بحر الشمال ، وسرح سرحته المعتادة لخمس دقائق
أخرى . فماذا أفعل ؟ سرحت أنا بدورى مع نفسى أفكر ،
حاسداً بتقدير وحب - لو صح التعبير - هذا الرجل الذى ولد
وفى فمه ملعقة من ذهب ، بقلب الإمبراطورية البريطانية عام

١٨٧٢ ، حين كانت الشمس لا تغرب عنها ، وكان جده « اللورد جون رسل » رئيساً لوزراء الإمبراطورية . ولكنه يصب بشجاعة ووعى ، جام سخطة وثورته على « عبادة المال » . . هذا الرجل الضئيل الحجم الذى يحمل على كتفيه ما يقرب من قرن من الزمان عمراً . ولكنه بشفافيته النفسية والعقلية يصب كل تفكيره واهتمامه فى « المستقبل » . . .

أى شاب مهيب فى الثالثة والتسعين من عمره هذا الذى أجلس إليه أحاوره .

وعاد إلينا رسل مرة أخرى ، وعلى فمه بسمة فيها معنى الاعتذار الرقيق عن غيابه ، ولكنها سرعان ما اختفت مع أول كلمة جرى بها لسانه من جديد :

— « هل تعلم شيئاً ؟ »

— ماذا

— « لم يقتل أوزوالد ، كيندى . . هذا شيء أكاد أجزم به . أقصد أن القاتل الحقيقى ليس هو أوزوالد . . إنه ضحية مثله ، مثل كيندى تماماً ، إن الذى قتل كيندى هم عباد المال الشرهون فى أمريكا .

لقد قتلوه لأنهم اعتبروه "ولداً عاقاً" بدأ يخونهم . . يخون

أطماعهم وصفقاتهم ومغامراتهم العدوانية . . وبدأ يحكم العقل ويتجه ، دون أن يغير من طبيعته كراسمالي ، للاقتناع بالتعايش السلمى ويجنون الحرب النووية . وكشفوا ذلك بوضوح عندما اصطدم مع جماعة الصلب . ثم أخيراً حينما تفاهم مع خروشوف حول " أزمة كوبا " وقبل الحل السلمى . لقد هزنى مقتل كيندى . . كنت لا أوافق على كثير من آرائه واتجاهاته . ولكنى كنت أرى فيه على الرغم من ذلك بارقة أمل جديد نحو تطوير السياسة الأمريكية ، لتفهم العصر والإنسانية تفهماً جديداً أكثر تعقلاً واستنارة .

لقد عكفت على دراسة ظروف الجريمة وقرأت تقرير لجنة وارن وعديداً من التقارير والتحقيقات الأخرى . وها أنذا أكاد أنتهى من قراءة مخطوط كتاب جديد عميق عن الحادث وملابساته وظروفه ، كتبه المحامى الأمريكى " مارك لين " . (وأشار إلى المخطوط المفتوح على المائدة الصغيرة بجانبه) وخلصت من ذلك الكتاب إلى هذه النتيجة : لقد قتل عباد المال ومغامرو الحرب كيندى . وإنى لأكاد أشير بإصبعى إلى أشخاص محددى بالذات لهم صالح حيوى فى هذه الجريمة . وسوف تكون هذه النتيجة هى محور مقدمتى التى طلب إلى " مارك لين "

أن أصدر بها كتابه القيم الذي سوف يلتقي أضواء هامة على هذه الجريمة التي لا غطيت عمداً بضباب كثيف .

— ومتى يصدر هذا الكتاب ؟

— « حسب ما أخبرني به ” لين “ سيصدر الكتاب في يونيو ١٩٦٦ على الأكثر . . أرجو أن تحرصوا على قراءته في بلادكم . إني أعتقد أننا لا يجب أن نسكت لحظة عن هذه الجريمة ، بنفس القوة التي لا نسكت بها عن حرب فيتنام والجرائم التي ترتكب هناك فالحيوط في النهاية واحدة » .

وراح يقلب صفحات المخطوط بعصبية ؛ فسألته :

— ترى لو أن كيندى كان لا يزال حياً ورئيساً للولايات المتحدة أكان يفعل الآن ما يفعله جونسون في فيتنام ؟

— « لقد راودني هذا السؤال كثيراً . . فكرت فيه أكثر من مرة وانتهيت إلى أن كيندى على الأقل لم يكن ليتورط في هذه الحرب إلى هذه الدرجة المرعبة التي وصل إليها جونسون . . ولو كانت قوى الضغط قد اضطرتته إلى ممارسة العدوان والحرب ، فأعتقد أنه كان سيعمل على محاولة حل المسألة سلمياً بأسرع وقت ، مثلما فعل في أزمة كوبا وقبل أن تصبح مجزرة رهيبة تهدد بإشعال الحرب العالمية كما هي الآن .

إن كيندى يختلف اختلافاً جوهرياً عن جونسون . هذا مؤكد . إن جونسون فى رأى أسوأ رئيس جمهورية فى تاريخ الولايات المتحدة . . إن الشعب الأمريكى مسئول عن ذلك . . لا أدرى لماذا انتخبوه ؟ ! »

— أعتقد أنهم كانوا فى موقف خيار بين جونسون وبين جولد ووتر ، الذى كان يجاهر باتجاهاته العنصرية واستخدام القنبلة النووية لحل المنازعات الدولية .

— « لا أعتقد أن جونسون فى النهاية يختلف فى شىء عن جولد ووتر . . لقد نفذ جونسون بالفعل كل ما جاهر به جولد ووتر خلال المعركة الانتخابية من آراء واتجاهات . . وحرب فيتنام واستخدام الغازات السامة ضد الشعب الفيتنامى دليل على ذلك . لقد كان جولد ووتر ضريحاً ، أما جونسون فكان مناوراً وهذا أخطر . وجونسون من طراز الساسة ذوى الفكر الإقطاعى المتخلف ، امتد إلى عصرنا . وأعتقد أنى إذا كنت مواطناً أمريكياً لما انتخبت أحداً على الإطلاق . . على الإطلاق . . فلا أحد يستحق »

— ألا ترى أن مثل هذا الموقف لا يعدو أن يكون أمراً سلبياً وبالتالى غير منتج . أو بتعبير أكثر صراحة هو موقف مثقف شريف واع ، يرى ويقم ويدين ، ولكنه لا يتحرك ولا يفعل شيئاً .

COMMITTEE OF 100
ACTION FOR LIFE
DEFENCE MINISTRY
18 FEB. 1961



وأطلق رسل ضحكته الخشنة قائلاً وهو يشوح بذراعيه :

— « كنت على ثقة من أنك ستواجهني بهذا الرأي . . إن الشباب عموماً يكره السلبية . وهذا شيء في طبيعته وهو ظاهرة صحية . وقد تكون على حق عندما تصف مثل هذا الموقف الذي تصورته لنفسى إذا كنت مواطناً أمريكياً بالسلبية ، ولكن هذه السلبية التي أدعو إليها ، ليست من النوع التقليدى حيث انعزل فيه عن الحياة . . عن القضية . . عن المشكلة . . وأجلس وحيداً فى بيتى ، وأقفل بابى على ، وأقول أنا لست موافقاً . . أنا أدين ، وإذن لن أشارك ، وعليكم اللعنة . لا . إن سلبيتى ، إذا شئت أن تسميها كذلك ، فهى أن أقول " لا " فى قلب الحياة . فى لب المشكلة . فى قلب القضية . وأن أعمل على تجميع كل من يقول " لا " فى حركة مضادة لمن يقول " نعم " ، كراى عام يحاصر ويضغط . فإذا كنت لا أريد أن أنتخب أحداً فى أمريكا ، فإنى أدعو كل من يوافق معى على هذا الموقف ، أن يتحرك كراى عام يجاهد ويضغط ، بحيث يحدث إضراباً عن الانتخاب . أو على الأقل يضعف إلى حد كبير نسبة المنتخبين ، الأمر الذى يضعف من قوة الرئيس المنتخب ويزلزل الاستقرار الاجتماعى له .

ونحن هنا في بريطانيا نقول " لا " للتسلح النووي لحكومتنا ونقول " لا " لسباق التسلح النووي المجنون في عالمنا . ولكننا لا نقف عند حد القول . بل نتحرك لنخلق رأى عام في بريطانيا والعالم كله من أجل أن تصبح " لا " هي كلمة وحكم الضمير الإنساني كله ، أمام القنبلة النووية . ومن أجل هذا أسست مع زملائي مؤسسة السلام التي شرفتنى بحمل اسمي . وقمنا بالمظاهرات والعصيان المدني ، وتحدى أوامر البوليس ودخلنا السجن . . . وهكذا .

وأيضاً حينما بدأت في عام ١٩١٦ أعارض قانون التجنيد الإجبارى وانتقد الحرب كسلوك بربرى غير إنسانى ، واتخذت في عام ١٩١٨ موقفاً ضد الحرب العالمية الأولى معتبراً إياها حرباً بين مجانين سلطة وعباد مال ، يدفع ثمنها الإنسان في النهاية . . لم أقف عند هذا الحد . بل ناديت بعصيان أوامر الحرب خلال مقالات علنية سجت من أجلها ٦ شهور . وإن كانت هذه ضريبة ضرورية ، فقد أفادتني شخصياً إلى أقصى حد من حيث تعميق إدراكى بأزمة المجتمع البريطانى والحضارة الأوربية عامة ، ومن حيث إتاحة الفرصة لى لتأليف كتابى " مقدمة إلى الفلسفة الرياضية " الذى أؤرخ به بداية مساهمتى المتواضعة

فى الفكر الإنسانى .

آه ! لقد ثرثرت أكثر من اللازم عن نفسى . . اعذرنى .

إن ما أردت أن أقوله فى الحقيقة هو أن الشعب الأمريكى بعدم

اتخاذ موقف " لا " من حكومة جونسون ، ومن الحرب

الفيتنامية ، ومن أساليب الضغط العسكرية والاقتصادية على

الشعوب الجديدة، ومن التفرقة العنصرية ، يصبح مسئولاً فى

الواقع عن كل هذه السياسة . وأنا لا أميل ، بتجربتى ، إلى

القول بأن الشعب فى أى بلد غير مسئول عن فظائع حكامه .

إن هذا غير صحيح . . فى رأى أن الشعب الألمانى كان مسئولاً

عن هتلر وفظائعه لأنه وافقه ومشى معه . . وقد يكون هناك

بعض أفراد قالوا: لا .. ولكن لم يكن هناك رأى عام شعبى . .

كذلك الحال فى أمريكا اليوم . . .

— ولكننا نشهد فى أمريكا الآن حركة شعبية تزداد نمواً

واتساعاً ضد حرب فيتنام وضد التفرقة العنصرية . . وفى اعتقادى

أن هذه ظاهرة صحية فى المجتمع الأمريكى .

— « لا أختلف معك عندما يتحرك الشعب تحركاً فعالاً .

ولكن يظل الشعب — فعلياً ومنطقياً — مسئولاً حتى يتحرك .

وبدون هذا فإننا نتحل الأعذار ونبسط الأمور » .

— ترى ما هو رأيك في حل قضية الحرب في فيتنام ؟
 — « الحل الوحيد هو إنزال الهزيمة بالعدوان الأمريكى
 وتحرير فيتنام وتركها للمصير الذى يقرره أهلها بحرية » .
 — ولكن ألا ترى هذا رأى يظل مجرد أمل طبيعى ومنطقى
 على الورق فحسب ، ويبقى كيف يمكن أن يتحقق هذا الأمل ؟
 — « يتحقق هذا الأمل بطريق وحيد ، وهو أن يستطيع
 شعب فيتنام شمالا وجنوباً من أن يصمد للعدوان الأمريكى
 ويواصل الحرب حتى الانتخابات الأمريكية الرئاسية القادمة .
 إن هذا سوف يوقظ الشعب الأمريكى على حقيقة الهوة التى
 يسير إليها نتيجة سياسة العنف التى تمارسها حكومته فى الداخل
 والخارج على السواء . وهذا سوف يمنع بالتأكيد وصول أناس
 من أمثال جونسون أو جولد ووتر إلى السلطة مرة أخرى .
 ويعيد فتح الباب أمام أناس جدد من أمثال كيندى أو حتى
 أكثر منه تطوراً . وسوف يؤدى هذا أيضاً إلى هزيمة نهائية
 لسياسة العدوان والعنصرية فى المجال الدولى والمجال الداخلى على
 السواء . فالعنصرية فى أمريكا هى الوجه الآخر لسياسة العنف
 العدوانى فى الخارج ضد الشعوب . ولعلنا بعد ذلك نبدأ عصراً
 جديداً للمستقبل ، عصراً إنسانياً يقضى على العنف بكل صوره

ابتداء من "لكمة اليد" حتى "القنبلة النووية" . ويصنف مجتمعنا الدولي من كل صور الكراهية والتميز اللاخلاقى بين البيض والملونين . . بين الشرق والغرب . . بين الهند وباكستان . . بين الروس والصينيين . . بين الساميين واللاسامين . . ! «
وهنا انتقلت بالحوار إلى منطقة جديدة تشغل حيزاً عظيماً من اهتمام رسل . .

قلت له :

— ألاحظ من حديثك أنك تتحدث عن الكراهيات بشكل مجرد ومطلق . . بل تعتبر بعض الخلافات الأيدلوجية أو السياسية « كراهيات » . .

ولم يتركنى راسل أو اصل حديثى بل قاطعنى قائلاً :
— « لا مفر فى الحياة الإنسلفية من وجود اختلافات فى وجهات النظر سواء على المستوى السياسى أو الفكرى وحتى بالنسبة للنظريات العلمية . . هذا ضرورى ومفيد للإنسانية وتطورها ، وإلا جمدنا عند مواقف محددة ونزل الموت والجفاف بحقلنا الإنسانى . ولكن عندما يتمنطق كل طرف فى الخلاف بالسيف والمدفع وربما بالقنبلة الذرية ويتقاتل مع الطرف الآخر وتسيل بينهما أسهار من دماء البشر . . فهنا "الكراهية" التى

تحركها نزعات التدمير والتخريب ، إما على أساس عنصري ،
وإما على أساس التسلط والسيادة وإما على أساس الاستغلال .

إن الخلاف بين الهند والصين تحول إلى كراهية عندما راحا
يتقاتلان . . والروس والصينيون يوشك الخلاف بينهما أن يتحول
إلى « كراهية » ، إن لم يكن قد تحول بالفعل في المجالات
السياسية والاقتصادية . أما الخلاف فيظل على مستوى الخلاف
إذا ما بقيت أسلحته محصورة في النقاش والحجج ، وميدانه
العقل والحكمة والاعتناع الحر . . إن ما أقصد أن أوضحه لك ،
هو أنني أقف موقفاً مبدئياً مضاداً من كل استخدام للعنف
والقوة في حسم خلاف إنساني .

— إذا سمحت لي أريد هنا أن أستوضحك : هل قيام
شعوب المستعمرات بحمل السلاح لمقاومة المستعمر وعدوانه
ونخوض الحرب التحريرية . . مثل حرب شعبنا العربي التحريرية
في الجنوب العربي واليمن مثلاً ، تنسحب عليه مواقفكم
المبدئية هذه ؟

— « بالطبع لا . . إن الحرب التحريرية رد فعل ضروري
ومشروع ضد العدوان الاستعماري . ولقد كتبت مؤيداً كل
حركة تحريرية ضد الاستعمار في أي مكان . لعل كتبت

بالذات عن حرب التحرير في الجنوب العربي ونشرتم ما كتبت في الأهرام . وكذلك فإن حرب التحرير في اليمن الذي تخرج به من ظلمة التأخر البشع والاستبداد الوحشي . . حرب مشروعة . ولو لم أقف مع حروب التحرير لكنت في الواقع بذلك مؤيداً للاستعمار ولعدوانه ، وبالتالي لمنطق القوة المسلحة في حسم الأمور . وهذا التمييز هو الذي جعلني أقف ضد الحرب العالمية الأولى كحرب استعمارية جنونية بين قوى كلها عدوانية ، وذات نزعات شريرة وهدامة للإنسانية ، في حين وقفت بجانب الحرب العالمية الثانية لأنها كانت رد فعل ديمقراطي وإنساني بأقصى ما يمكن أن يصل إليه مفهوم عصرها — ضد عدوان النازية والفاشية على العالم . ولو لم أقف هذا الموقف لكنت وضعت نفسي في معسكر النازية والفاشية . ومن أجل هذا أيضاً أقف مع حرب التحرير الفيتنامية ضد العدوان الأمريكي . أرجو أن يكون موقفى من هذه الناحية واضحاً بالدرجة الكافية .

— تماماً .

وأرسل لي رسل نظرة باسمه غلف بها سؤاله :

— « لماذا إذن لا تحلون مشاكلكم مع اليهود سلمياً ؟ »

— ليس بيننا وبين اليهود أية مشاكل من أى نوع حتى يمكن القول بحلها سلمياً أو عسكرياً .

وارتسمت علامات الدهش على وجه رسل ، وانطلق قائلاً :

— « كيف ؟ ألا تعادون اليهود وتتسلحون لإبادتهم ؟ ألسم

”بصراحة“ معادين للسامية ؟ »

وفهمت أننا نقرب في الحديث من « مشكلة الصهيونية

وإسرائيل » . ولكن من زاوية الدعاية الصهيونية التي تحاصر

الرأى العام في أوروبا وترسم له صورة مشوهة عن القضية وحقيقتها..

ماذا أفعل ؟ هل أقفز إلى قلب القضية مباشرة أم أصاحب رسل

في أسئلته كما يلقيها على ؟ وفضلت الطريق الأخير وأجبت :

— نحن يا سيدي لا نعادي اليهود ، ولنا معادين للسامية

وبالتالى فليس هناك محل للتسلح لإبادتهم . . بل على العكس

نحن ضد كل حركة معادية للسامية ، أولاً : لأننا كعرب

ساميين . وثانياً : لأننا ضد كل حركة عنصرية ، طوال تاريخنا

الطويل حتى اليوم ، سواء على أساس الدين أو الجنس أو

اللون إلخ . . .

— « إني أحاول أن أفهم من حديثك أن هذا هو رأيك

الشخصي ، لا رأى قومك أو رأى الرئيس ناصر مثلاً » .

— بل هو رأي قوى ورأى الرئيس ناصر ، لأنه نابع عن تراث شعبنا العميق الجذور ونظرتنا الثورية التقدمية . . . فلا يزال في بلادنا يعيش اليهود في أمان وسلام ، إما كمواطنين لهم ما لنا من حقوق وواجبات ، وإما كأجانب لهم كل الرعاية والضيفة طالما لا يخلون بأمتنا . .

— « فسر لي موقفكم من إسرائيل إذن ؟ »

— هذه قضية أخرى تماماً يا سيدى . إن إسرائيل ليست هي اليهود . وإنما هي تجسيد للحركة الصهيونية العنصرية العدوانية المشتركة المصالح مع القوى الاستعمارية ، احتلت بالقوة والسلاح والعدوان جزءاً من أرضنا ، وشردت مليوناً من شعب فلسطين ، وأقامت قاعدة عسكرية عدوانية ضدنا لصالح توسعاتها العنصرية وعمليات الاستعمار المعادية لنا ، وذلك في شكل دولة . ولعله لا يخفى عليكم أن هذه القاعدة تحركت بالعدوان ضدنا مع الاستعماريين الفرنسي والبريطاني خلال حرب السويس عام ١٩٥٦ . ولا تزال تحتل جزءاً من أرضنا وتسوم بالتعذيب والقتل والإرهاب أكثر من ٢٥٠ ألف عربي سجين في قبضة نظامها العسكري العنصري ، ونحن في نظرتنا وتصرفاتنا نفرق تماماً بين اليهود كبشر وكدين ، وبين إسرائيل

كقاعدة استعمارية عنصرية عدوانية لا نستطيع أن نقف منها موقف المتفرج وهي تجهز وتعد وتحشد بالسلاح والمغامرين العنصريين من كل أنحاء الأرض لتمارس العدوان على شعبنا وأرضنا وحقنا في التحرر والوحدة والاشتراكية . ومن هنا فوقنا منها هو نفس موقفنا من القواعد العسكرية العدوانية الأخرى في الجنوب العربي وقبرص مثلاً . ومن هنا أيضاً فإن مصيرها هو مصير نفس هذه القواعد .

— « هذا تصوير جديد للموقف على ما أرى » .

— بل هو التصوير الوحيد الذي يعطيه الواقع الموضوعي : إنه على طول التاريخ مثلاً في مصر ، لم تحدث حادثة اضطهاد واحدة لإنسان لمجرد أنه يهودي . . أقول حادثة واحدة . أما في إسرائيل فهناك يومياً أحداث اضطهاد بها قتل لبشر لمجرد أنهم عرب مسلمون ومسيحيون . وأذكر خلال مناقشات دارت مؤخراً في القاهرة بين وفد الحزب الشيوعي الإيطالي وبين الاتحاد الاشتراكي ، أن تعرضنا لهذه القضية . وروى لنا الوفد الإيطالي أنهم انزعجوا عند ما كانوا يزورون إسرائيل لأن من التقوا معهم من العرب ، اضطروا إلى قطع الاجتماع قبيل الغروب للعودة إلى بيوتهم ، وذلك حتى لا يتعرضوا لرصاص الجنود

الإسرائيليين إذا التقوا بهم في الشارع بعد غروب الشمس .
 وضرب رسل مسند مقعده بقبضة يده ونفث ، دخاناً كثيفاً
 من الباب عدة مرات قبل أن يقول :

— « هذا كلام أسمع لأول مرة تقريباً » .

— أؤكد لك أنه ليس ذنبنا يا سيدى . إننا نقوله ونفعله

باستمرار . ولكن هناك حواجز أجادت الدعاية الإسرائيلية صنعها
 في أوروبا بحكم تفوذها ، هي التي تمنع حقيقة ما يجرى في الشرق
 الأوسط من أن يرى أو يسمع دون تشويه أو تزييف هنا في أوروبا .

— « ولكن ألا تطلب إسرائيل باستمرار الاجتماع معكم من

أجل السلام وأنتم ترفضون ؟ »

— سيدى أود ملحقاً أن لا تكتفى بما تقوله إسرائيل بل بما

تفعله وما زالت تفعله . إن إسرائيل احتلال عنصري عدواني لأرض

عربية . . إسرائيل ارتكبت ضد العرب مذابح لا حصر لها ،

ولعل المعزوف منها في أوروبا قليل جداً ومشوه ، مثل مذبحه دير

ياسين . . إسرائيل تعتدى باستمرار على البلاد العربية ، إما

منفردة ، وإما بالاشتراك مع القوى الاستعمارية كالعدوان على

مصر عام ١٩٥٦ . . إسرائيل شردت أكثر من مليون فلسطيني

من ديارهم وترفض عودتهم . . إسرائيل ضربت بعرض الحائط

كل قرارات الأمم المتحدة ولم تنفذ واحداً منها . . إسرائيل تشارك بالتدريب والسلاح في كل الحركات المضادة لثورات الشعوب في أفريقيا ، إنها هي التي دربت وجهزت جيش موبوتو في الكونغو مثلاً . فهل يمكن أن ينبع من مثل هذه الطبيعة العدوانية العنصرية . . سلام ؟ أى سلام يمكن أن يكون مثلاً بين العدوان العنصرى المغتصب للأرض والسلطة في بلد كجنوب أفريقيا وأوروديسيا ، وبين الشعب الأفريقى . إننا نرفض خديعة السلام المزيف — كما رفضت أنت خديعة السلام مع الفاشية والعنصرية الألمانية والإيطالية في الحرب العالمية الثانية ، ولكننا مع السلام العادل .

— « ماذا تعنى بالسلام العادل ؟ »

— السلام الذى يعيد ما اغتصب إلى أهله .

— « واليهود في إسرائيل الآن ، بعد أن ظلوا وأقاموا وامتزجوا

بأرضها وكونوا شعباً منذ عام ١٩٤٨ ؟ »

— إذا كان هناك « شعب » يمكن أن يفبرك في عدة سنوات

قليلة على هذا النحو فإن معنى ذلك أن نتشكك في التاريخ

وقوانينه العلمية التي تعلمناها . لقد وفد ولا يزال وفد على إسرائيل

مهاجرون مغامرون من جميع أنحاء العالم تلهبهم المشاعر العنصرية

التي تذكى فيهم . . هؤلاء لهم أوطان أصلية جاءوا منها . . .

يخبروا بين البقاء في فلسطين أو العودة إلى بلادهم . . وأما اليهود
الفلسطينيون فلهم حق البقاء مع كل عرب فلسطين كمواطنين :
— « والحل إذن ؟ »

— الحل الجذري ستفرضه حركة التاريخ والتطور الثوري
لمنطقتنا وللعالم كله . فالزمن معنا . ونحن نسير كمائة مليون
عربي في طريق الثورة التقدمية من أجل التحرر الكامل من
الاستعمار ، والاشتراكية والوحدة .. ونحن نكسب كل يوم ،
شعوباً وأصدقاء جدداً في العالم يكتشفون حقيقة إسرائيل كقاعدة
عنصرية وعدوانية حتي بالنسبة لهم . . غينيا وسيكوتوري . .
مالى وموديبوكيتا . . إلخ . ولم نعد نحن تلك الكتلة البشرية
المستعمرة المتأخرة ذات الأنظمة الإقطاعية ، والتي كانت
إسرائيل تصور نفسها وسطها كنموذج للحضارة والتقدم الأوروبي .
ولنما أصبحنا كتلة إنسانية متحركة تتحرر من الاستعمار
والإقطاع والاستغلال ، وتتطور اقتصادياً واجتماعياً وتبنى
مجتمعات متقدمة جديدة وتسير على طريق الاشتراكية ، كما في
مصر أكبر البلاد العربية نسبياً . ولعل هذا هو السبب الرئيسي
لتركيز الحملة الصهيونية على مصر وناصر .

ومسح رسل وجهه براحة يده وهو يقول :

— « المشكلة معقدة » .

قلت :

— معقدة ، طالما ظل للاستعمار نفوذ في المنطقة ، ولكنها تصبح سهلة بزوال النفوذ الاستعماري . . وهذا النفوذ قد أصبح عمره قصيراً بحكم حركة التاريخ .

ولم يعقب « رسل » بشيء . غاب عنا بغض الوقت سارحاً مع نفسه من جديد . وحينما عاد ، طرحت عليه السؤال التالي :

— ما هو المفتاح الرئيسي في رأيكم لقضية السلام في عالمنا

اليوم ؟

وتريث قليلاً وهو يمسح جبهته العريضة براحة يده قبل أن

يقول :

— « الإجابة عن هذا السؤال سهلة للغاية ويمكن تلخيصها

في العبارة الآتية : ” العمل المستمر من أجل السلام دون أن يداخلنا اليأس لحظة واحدة “ . ولكن الصعوبة الحقيقية هي في كيفية العمل وأسلوبه من ناحية ، وفي كيف نحصن نفوسنا البشرية — أفراداً وجماعات — من جرثومة اليأس من ناحية أخرى .

إن ثمة حقيقة أولية يجب أن تنفذ أولاً وبعثى إلى الإنسان

ومؤسسات حياته المختلفة ، ابتداء من الأسرة والمصانع حتى الأحزاب والدول والحكومات ، وهي أن كل ما هو إنساني في عالمنا — أيًا كان لونه أو دينه أو اتجاهه أو ثقافته أو ذوقه أو وضعه — سيكون مصيره الدمار التام والشامل ، إذا ما اشتعلت الحرب النووية . وخطر هذه الحرب كامن وعلى وشك الانفجار في أي لحظة ، طالما ظلت الكراهية تصوغ وتلون العلاقات بين الناس بعضهم وبعض ، وبين الدول بعضها وبعض . وإذا ظلت الأسلحة النووية تنتج بلا توقف ، وتتطور باستمرار وتتكدس في المخازن ، وتغدو رصيد قوة في أيدي حكام بعض الدول .

وإذا ظلت « الثقافة » تفهم وتدرس على أساس عنصري ، أو على أساس التفريق بين الشعوب ، لا وحدتها . ومن هنا فإن العمل من أجل السلام يجب أن يستهدف القضاء على الكراهية وعلى الأسلحة النووية جميعها ، وعلى الأساليب غير الإنسانية للثقافة . ولن نستطيع العمل إلا إذا كان داخل كل بلد ، وبالتالي على محيط العالم كله ، رأى عام قوى متحرك ضد الحرب والعنف والكراهية والعنصرية .

إن هذا الرأي العام سوف يقيم في كل بلد حكومة ديمقراطية تؤمن وتنتصر للسلام كوسيلة وهدف معاً ، ويعزل عن السلطة

كل المغامرين وأصحاب المصلحة في الحرب . . . والمجانين السياسيين أيضاً .

ولتكوين هذا الرأي العام ، نحن في حاجة إلى الوعي بضرورة المبادرة بتدريس التاريخ الإنساني بصورة ومضمون موحد ومتفق عليه في كل بلد ، تقوم بوضع برنامج وخطوطه لجنة دولية مشتركة موحدة . إن هذا الفهم الواحد للتاريخ الإنساني سوف يكون الأساس الضروري لبناء رأى عام عالمي موحد الاتجاه نحو السلام والأخوة الإنسانية .

— ولكن . . .

وقاطعني رسل بسرعة قائلا :

— « أعلم مقدماً ما وراء ” لكن “ هذه . . . اعذرني . لقد سمعتها كثيراً بأكثر من لغة وبأكثر من معنى : لكن هناك صعوبات . . . لكن هذا المشروع خيالي . أعلم هذا وأفهمه . ولكن ما لا أفهمه هو أن نكتفي بذكر هذه الصعوبات التي أعترف بوجودها ، وبذكر الطموح الكبير في مشروعى والذي لا أنكره . ولكن ما هو جوهر العمل إذن ، إذا لم نتصد للصعوبات ونتغلب عليها ونحلها . والمشكلة هي بالدقة في هذه

الصعوبات ، لأنه إذا لم تكن هذه الصعوبات قائمة فإن المشكلة نفسها لم تكن لتوجد . لقد أتاح لي عمري والأحداث ، أن أمر بتجارب عديدة وبممارسة مهن متعددة منها التدريس في الجامعة والكتابة في الصحافة وتربية النشء الصغير . وأستطيع أن أقرر لك دون مبالغة أن أهم وسيلة للتربية الإنسانية ، المحصنة من الكراهية وعبادة المال واضطهاد الناس بعضهم لبعض ، هو توحيد رؤيتهم منذ الصغر لتاريخهم الإنساني .

لقد سبق أن اقترحت من قبل ضرورة قيام مؤسسة عالمية تضم جميع الدول من أجل التفاهم بينها وبين بعضها لحل المشكلات . وقيل يومها أيضاً . . ولكن الصعوبات ! ولكن هذا خيال ! واليوم ! استطاعت الإنسانية أن تخلق منظمة الأمم المتحدة ومن قبلها عصبة الأمم .. صحيح أن الممارسة ليست فعالة بالدرجة المطلوبة حتى الآن ، ولكن نواة المؤسسة العالمية قد بذرت في الحقل الدولي ونبتت بالفعل .

كانت كلمات « رسل » مشحونة بالحرارة بدرجة أشعرتني ، بسخونة الجو فجأة رغم عاصفة الرياح الباردة التي كانت تعوى في الخارج فوق بحر الشمال . وأحسست بدفع حرارة « رسل » يسرى إلى عقلي وقلبي فقلت :

. أعتقد هنا ، أنه يمكن للأدب والفن في المجتمعات الإنسانية أن يلعبا دوراً هاماً .

وابتسم رسل ابتسامة خفيفة قائلاً :

— « ربما . ولكنه دور غير أساسى . . دور مساعد فقط . أنا شخصياً أحب الأدب والفن . ولكنهما لا يؤثران تأثيراً مباشراً في ميدان السياسة .

والعمل المطلوب اليوم هو العمل السياسى . قد يمكن استغلال الصحافة كراى وخبر في هذا الصدد لأنها غدت مع انتشار التعليم وسيلة سياسية قوية جداً ، لأنها تحشد وتعبرُ الرأى العام حول عمل معين أو موقف محدد . أما الأدب والفن فهما لا يوجهان السياسة والعمل السياسى . وإلا أصبحا مباشرين ، وبالتالي فقد اعتبارهما كأدب وفن . ولكنهما بالطبع يعكسان مفهومات سياسية بدرجات متفاوتة . وفي العمل السياسى ، أنت تريد الوسيلة التى تؤثر وتوجه مباشرة ، لا الوسيلة التى تعكس وتصور بحيل أدبية وفنية غير مباشرة . إن أقصى ما نستطيع أن نطلبه من الفنانين والأدباء هو أن يقاوموا بأعمالهم روح الكراهية والتأخر والاستبداد بالإنسان بصفة عامة » .

— ولكن . . أرجو أن لا ترعجك « لا كنانى » هذه . .

نجد أديباً مثل سارتر مثلاً يتخذ من الكلمة الأدبية سلاحاً ،
وموقفاً سياسياً تقديمياً . ولماذا أذهب بعيداً أنت مثلاً ؟

— « لا . إن سارتر لا يتخذ مواقف السياسية التي أحترم
الكثير منها ، بصفته أديباً ، وإنما بصفته سياسياً . إن كلمته
هنا لا توزن بميزان أدبي أو فني وإنما بميزان سياسي لأنها مباشرة
وصريحة . أما أعماله الأدبية والفنية فهي غير مباشرة ، قد تعطى
انطباعاتاً عاماً لدى القارئ بموقف معين ، ولكنه لا يستفزه ولا
يعبئه لاتخاذ هذا الموقف عملياً » .

— بهذه المناسبة ما رأيك في الفلسفة الوجودية . . لقد أتيح
لي أخيراً أن أقرأ قصتك القصيرة عن كابوس الفيلسوف الوجودي ؟
وأطلق رسل ضحكة عالية الرنين ، قبل أن يقول :

— « إذا كنت قد قرأتها فلا بد أنك عرفت رأيي . ومع ذلك
فأنا صادقاً حاولت أن أفهم الوجودية وفشلت . وفي رأيي
المتواضع أن لا علاقة لما يسمونه بالوجودية بالفلسفة . وعموماً
فإنني لا أميل الآن إلى ما يسمى بفلسفة المجردات . . إنها كلام
وجهل لا معنى ولا فائدة حقيقية له » .

— والماركسية ؟

— « ليس موقفي منها هو موقفي من الوجودية مثلاً . ولكني

لا أوافق عليها بصفة مطلقة .

والذى يعينى دائماً من كل فلسفة ليس فروضها أوقوانينها النظرية المجردة ، وإنما صدقها الواقعى فى التطبيق . إن تجربة الاتحاد السوفيتى حتى وفاة ستالين لم تكن مشجعة على الإطلاق . طبعاً الوضع تغير إلى أحسن جداً بعد ستالين .

والمشكلة الهامة فى هذا كله هو حرية الإنسان والديمقراطية ، وفى رأى أن التطبيق الماركسى . حتى الآن لم يستطع أن يؤمن حرية الإنسان . والديمقراطية ، ما برحت هناك ضغوط كثيرة فى هذا المجال من ناحية التعبير عن الرأى وممارسته . لقد حلت مشكلة لقمة العيش بالنسبة للإنسان ، أو هى على الأقل فى طريقها إلى الحل فى المجتمعات الشيوعية . ولكن لم تحل بعد ، بدرجة مقبولة إنسانياً ، مشكلة لقمة الحرية . ولست أطلب هنا حرية زائفة أو ديمقراطية صورية ، كما هى الحال فى المجتمعات الرأسمالية . ولكنى أطلب ببساطة أن تلغى كل الضغوط السياسية على حرية الرأى والتعبير للإنسان ، كما ألغيت أو تلغى نظم الاستغلال لحياة الإنسان المادية .

وأعتقد أن تجارب جديدة ، مثل تجاربكم ، يمكن بما اختزنه من آلام فظيعة للإنسان ثارت عليها ، أن تقدم مساهمة

إيجابية لحل هذه المشكلة التي يتوقف عليها - في رأيي - مستقبل الإنسان وعلمه على السواء . . . «
- كيف تتصورون هذا عملياً ؟

- « لا أستطيع ولا أملك بالطبع أن أحدد أشياء وعلامات قاطعة . ولكني على الأقل أقول إنكم تصعدون بدم جديد ، ومشاكل جديدة ، وإصرار جديد ، إلى المجتمع الإنساني . وفي هذا المجتمع الإنساني تنظرون ، يميناً ، في هولكم زيف وخداع الديمقراطية التي يسيطر عليها عبادة المال ونفاق واستغلال القلة الأرستقراطية . وتنظرون ، يساراً ، في هولكم ما تعرض له الإنسان في المجتمع الشيوعي من قسوة وجبر وإهدار تحت الحكم الستاليني . وأنتم بذلك تملكون - وعجينة المجتمع في أيديكم ما تزال طازجة وطرية للتشكيل - أن تتجنبوا على الأقل عيوب ونواقص وأخطاء اليمين واليسار الستاليني . وهذه ميزة وقدرة لم يتوافرا من قبل لأحد . . . ترى هل كنت واضحاً بالدرجة الكافية في الإجابة عن سؤالك ؟ »

- تماماً . ولعل هذا ، إذا سمحتم لي ، يقودني إلى سؤال آخر أرجو أن يتسع له صدرك وهو : إذا أردت أن أقيم « برتراند رسل » اليوم وأحدد منهجه الفكري وموقفه الاجتماعي فما هي

الخطوط العامة، لهذا التقييم ؟

وأطرق رسل برأسه قليلاً ، وتحركت على فمه ابتسامة تواضع
تروح وتجيء هنا وهناك بين قسبات وجهه ، حتى افترشتها
تماماً ثم قال :

— « لا أدري ماذا أقول لك . فالإنسان يستطيع أن يحدد من
الأحداث الجارية موقفاً ، ولكنه لا يستطيع مع ذلك أن يقيم
نفسه بنفسه موضوعياً . ومع ذلك فأعتقد أنني كنت وما زلت
مؤمناً وممارساً لشيئين ، أولهما الإيمان بالعلم منهجاً وأسلوباً ،
وهذا قادني دائماً إلى احترام العقل الإنساني وحرية في التصدي
للحياة ومشاكلها ومقدساتها ومسلماتها دون ما حدود . وبدون
هذا فإننا نرتد من جديد إلى الحيوانية . وأذكر لك هنا ما
كتبه (فولتير) إلى صديقه (جان جاك روسو) بعد أن قرأ
كتبه قائلاً : (بعد أن قرأت كتبك أيها الصديق أحسست أنني
تحولت إلى حيوان يسير على أربع ، ولكني لما كنت قد
ابتعدت منذ زمن طويل عن هذه العادة فإنني أجدها صعبة
على جداً) . هذا هو الإنسان الذي يحكم العقل ويطلقه باستمرار
لغزو المجهول .

أما الشيء الثاني ، فهو أنني أؤمن إيماناً لا يترزع بضرورة

أن يعيش الإنسان حراً وقادراً على الإبداع . ولن يستطيع ذلك دون تحقيق حياة السلام والأمن له باستمرار . أما موقفى الاجتماعى فإنى أعتبر نفسى اشتراكياً ، أعادى عبادة المال واستغلالها ، لا على أساس اقتصادى فحسب ، بل على أساس أخلاقى أيضاً . ولهذا فإنى أربط الاشتراكية ربطاً عضوياً بحرية الإنسان أمام سلطان الدولة أيّاً كانت .

ولكن موقفى الاشتراكى اجتماعياً ، لا يمنعنى لحظة أو يحول بينى وبين التعاون المخلص والصادق مع غير الاشتراكيين فى العمل من أجل السلام العالمى . فالقنبلة النووية ، سواء أكانت أمريكية أم روسية لن تفرق فى ضحاياها بين الرأسماليين والاشتراكيين . ومن هنا فالسلام مطلب وحق إنسانى شامل يعلو على كل المواقف والصراعات والأجناس والقوميات .

قلت :

— هل يمكن أن أعتبر هذا التقييم حيثيات نظرية لانسحابك من عضوية حزب العمال أخيراً ؟

— « أعتقد ذلك . ولقد آلتى كثيراً أن أترك الحزب . ولكن قياداته المتعاقبة وبعض الكتل المسيطرة عليه أرغمانى على اتخاذ هذا الموقف إزاء عدم إمكانية الإصلاح من الداخل . إن

الحزب لم يساوم في مواقفه السياسية فحسب ، سواء في الصعيد الداخلي أو الدولي ، وإنما حتى في فكرياته . وبريطانيا تحت حكم العمال ، لا تختلف إلا من حيث الأسماء والوجوه ، وهي تحت حكم المحافظين . فلا تغيير اشتراكي جذري في الداخل ، وإنما مجرد مسكنات مؤقتة . وفي الخارج فنحن لا نبرح مكاننا التقليدي كقوة استعمارية ، انظر موقفنا من الجنوب العربي مثلا ومن فيتنام ومن التسليح النووي .

« كل التغير الذي حدث ، هو أننا بعد أن كنا قوة استعمارية قيادية أصبحنا قوة استعمارية تابعة . إننا الآن مجرد عجلة في عربة سياسة العنف الأمريكية . وعلينا أن نأمل ونعمل لحزب بريطاني اشتراكي حقيقى في المستقبل . . . وليكن المستقبل القريب قبل أن تضيق الفرصة » .

كانت « الصغيرة أديث » قد جاءت ووقفت بعتبة الباب دون ما كلمة . ولكنى أحسست من نظراتها المتبادلة مع « شونمان » أن الوقت قد تأخر « برسل » . وألقيت نظرة على ساعتى ، فإذا بها قد تجاوزت التاسعة مساء . وفهمت أن جلستى مع هذا المفكر العظيم قد بلغت لحظة النهاية . فقلت له : لا يزال فى جعبتى أسئلة كثيرة لم أطرحها بعد . ولكنى

أنخشي أن أكون قد أثقلت عليك واعتديت على نظام يومك
الذى يرجع ولاشك إلى المربية الألمانية صديقة بلادنا .

وابتسم رسل قائلاً في تواضع بشوش :

« لا . . . نظامي الآن من نوع آخر لأنه من صنع صغيرتي
أديث . لقد سعدت بلقائك وأشكرك على صبرك معي .

سوف أنتظرك مع أسئلتك التي لم تطرحها في اللقاء القادم .
ستجدني هنا أو في لندن ، لا تخشى شيئاً ، لقد بلغت الثالثة
والسبعين حقاً ولكن العمل من أجل السلام والثقة في المستقبل
والإنسان ، يجعلاني في صحة من لم يتجاوز الثالثة والعشرين . .
صديقى إن هذا هو الإكسير الحقيقى لإطالة العمر . جربه
وسترى النتيجة ، وانصح به غيرك دون تردد . . إلى اللقاء إذن .»

ونهض الرجل ، يجمع حاجاته : الباب . . علبة الكبريت . .
كتابان . . مخطوط مارك لين عن مصرع كيندى . . صافحته
يلى وعينى ، وهو يخطو بثبات وقامة معتدلة ، تاركاً غرفة
الصالون بالدور الأرضى إلى الدور العلوى وهو يضع بحنان
ذراعه على كتف صغيراته « أديث » .

وهمس « شونمان » فى أذنى : ما رأيك فى رسل ؟

قلت بعد لحظة صمت :

— شاب فى الثالثة والتسعين تشغله هموم المستقبل ، كما لا

تشغل شيخاً فى الثالثة والعشرين .

حوار مع « جان بول سارتر »

(يونيو ١٩٦٧)

استبدار نحوي فجأة الأستاذ البروفسير « جاك بيرك »
الأستاذ بالكوليج دي فرانس ، والذي يقود مع زميله البروفسير ،
« مكسيم رودنسون » حملة تنوير شجاعة داخل الرأي العام
الفرنسي خاصة ، والأوروبي عامة ، لتبديد الضباب الصهيوني
الاستعماري الكثيف حول « القضية الفلسطينية » وقال لي :
— هل قابلت سارتر ؟

— لا

قلتها باقتضاب ، وأنا أحس بالكلمة تكاد تلهب حلقى .
كنت قد قرأت البيان الذي صدر عن سارتر ، قبل العدوان
في جريدة الموند ، وأنا في طريق من الجزائر إلى باريس .
ولاحظت أنه وقع على البيان مع عدد من الفرنسيين من بينهم
شخص يدعى « مزراحى » وصفه لي هو نفسه ذات يوم بأنه

« صهيوني حتى أطراف أصابعه » .

وصحيح أن البيان حوى بعض الكلمات الطيبة عن العرب .
وصحيح أن سارتر نفسه — كما علمت بذلك من بيرك —
هو الذى أضافها ، وأنه كان متردداً حتى آخر لحظة في توقيعه ،
ولكن ذلك كله لا ينفي أن البيان في مجمله وفي الجوانب الهستيرية
المعادى للعرب وقتذاك ، قد احتسب في النهاية لصالح إسرائيل
وادعاءاتها بأنها مهددة بخطر العدوان العربى المتجمع ضدها
في « وحدة صليبية » . وليس أدل على ذلك من أن الإذاعة
الإسرائيلية ظلت تذيع البيان لمدة يومين بمعدل سبع مرات
كل يوم !

ولذلك عندما عاد « جاك بيرك » يقول لى :

— ولكن لماذا لا تقابله . . إنه يسأل عنك . . ماذا

ستخسر ؟

أجبت : لقد اختار هو بيانه موقفاً محدداً هو أن نخسره .

— لا . . ليس إلى هذا الحد . . هل تعلم أنه في حالة تمزق

داخلي عميق .

وسكت ولم أجب بحرف . وإن ظل رأسى يمحج بعلامات

الاستفهام المتلاطمة : كيف يمكن لرجل أمين وشجاع أن لا



يرى وجه الحقيقة في الصراع ؟ كيف يمكن لرجل اشتهر بمواقفه من أجل الحرية أن يتخذ موقفاً مضاداً لها عندما يتعلق الأمر بإسرائيل ؟ تحت أى تأثير ووفق أى معلومات وقع « سارتر » هذا البيان جنباً إلى جنب مع ذلك الصهيوني حتى أطراف أصابعه؟ ألم يزر الشرق الأوسط ولس بنفسه الأوضاع على الطبيعة وأقر بحقوق الشعب الفلسطيني القومية ؟

وتتابعت الأيام الهادرة العصبية ، ووقع العدوان ، وامتلات الصحف بالزيف ، ثم راح الضباب الكثيف ينقشع هنا وهناك عن لمحات من التواطؤ الصهيوني الاستعماري ، وعن حملات الإبادة العنصرية ضد العرب ، وعن قنابل النابالم إلخ .. وأخذت الأضواء تكشف جوانب من الصورة الإسرائيلية التي تقطر دماً وبشاعة . وفكرت للحظات أن أتصل بسارتر وأقول له كلمة واحدة : ها هي نتيجة بيانك . . ولكنى عدلت ونشرت « بجريدة الموند » بعد وقوع العدوان ، باسم هيئة تحرير « الطليعة » خطاباً مفتوحاً إلى « المثقفين اليساريين الفرنسيين الذين بطريقة أو بأخرى اتخذوا موقفاً في صالح إسرائيل » .

وقلت في هذا البيان : « إن الأحداث قد أثبتت مرة أخرى أن إسرائيل قد بادرت بالعدوان المبيت على الشعوب العربية .

وإنه لم تكن سوى أكذوبة تلك الادعاءات التي هولت لها إسرائيل ، بأنها مهددة من جانب الشعوب العربية بحملة إبادة عنصرية معادية للسامية . . هذه العنصرية التي ، كنا ولا زلنا دائماً ندينها رغم أن العدوان قد أغرق القضية كلها في الدم الآن . وإن إسرائيل لم تكن لتقدم على عدوانها بكل هذه القوة ما لم تكن مؤيدة ومساعدة من الإمبريالية بحكم كونها امتداداً للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط . وإنكم بمواقفكم هذه قد ساهمتم في تشجيع إسرائيل والإمبريالية على العدوان . . فماذا أنتم فاعلون الآن تجاه هذه المسؤولية ؟

واتصل بي سارتر يدعوني على الغداء لتتكلّم . وقبلت الدعوة . وعندما تقابلنا بادرني بعتاب :

— « كيف تكون هنا في باريس منذ أول يونيو ولا تحاول

الاتصال بي ؟ »

قلت :

— لأنك اتخذت موقفاً ضد نضال الشعوب العربية .

وهاج سارتر وماج :

« ما هذا الذي تقوله ؟ . وأي موقف ؟ إن الموقف الذي

اتخذته كان ضد الحرب . . الحرب فقط من حيث المبدأ .

إني لم أغير موقفي قط في تأييد نضال الشعوب العربية من أجل التحرر والتقدم بما في ذلك الشعب الفلسطيني ، وعلى الأخص الشعب المصري الذي أكن له ولقيادته كل الإعجاب والاحترام ، كل ما أنا ضده هو الحرب كوسيلة .

وتدخلت « سيمون دي بوفوار » في الحديث متطرة إلى موضوع إغلاق خليج العقبة في وجه السفن الإسرائيلية ، وكيف أنه اعتبر لدى الرأي العام الأوروبي نوعاً من الاستفزاز للحرب . فتدخلت شارحاً لها حقيقة الوضع ، وكيف أن هذه المياه إقليمية تدخل كلها وفقاً للقانون الدولي في نطاق السيادة المصرية ، وأن هذه السيادة قد انتزعت بالقوة من مصر خلال عدوان عام ١٩٥٦ الاستعماري الصهيوني الثلاثي . وكيف أن « إيلات » نفسها قد استولت عليها إسرائيل بعد اتفاقية الهدنة المصرية الإسرائيلية في ٩ مارس عام ١٩٤٩ من الجانب الأردني . وأنها كانت دائماً عربية باسم بلدة « أم الرشراش » . إن كل ما حدث هو استرداد جزء من حقوقنا المهددة .

وارتج على « دي بوفوار » ، وأرسلت نظرة تساؤل إلى سارتر الذي أجاب بدوره بنظرة يتبعها صوت متعب :

— « هذا صحيح قانوناً . . لقد عرفت ذلك أخيراً . . »

وصاحت سيمون دى بوفوار :

— لماذا لم توضّحوا ذلك . . لماذا لم تشرحوه للرأى العام هنا .

وقلت :

— هذه فعلا بعض أخطائنا . . وأنا أعترف بها . ولكن

حتى لو شرحناه ، فهل نجد مجالا واسعا هنا فى هذه الصحافة

التي تسيطر على معظمها القوى الصهيونية والعداء العنصرى للعرب؟

ودار حديث طويل حول هذه النقطة . وعاد سارتر يقول :

— « لقد شرحت لك موقفى ، والظروف التي صدر فيها

ومن أجلها البيان الذى وقعت عليه . فهل يساعدك ذلك على

فهم الوضع ؟ »

قلت :

— بصراحة . . لا

وهز سارتر رأسه مفكراً قليلاً ثم قال :

— « اسمع ! لماذا لا نتفق على موعد لحوار شامل . أنا

حريص فعلا على توضيح موقفى للأصدقاء العرب » .

— ونحن العرب نشاركك نفس الحرص ، حتى نكون على

نور فالمعركة ما برحت مستمرة .

واتفقنا على لقاء فى الغد بمنزله .

وكان أول سؤال طرحته على سارتر ونحن جالسان في حجرة مكتبه الصغيرة التي تقوم في نفس الوقت بمهام الاستقبال والطعام والمبيت ، هو :

— لاحظت أنك قد التزمت الصمت التام منذ بيانكم عن الموقف في الشرق الأوسط الذي صدر قبل بدء العمليات الحربية والعدوان . . هذا البيان الذي اعتبر أنه معاد للعرب ، واستغلته إسرائيل ، كما تعلم ، بهذا المعنى ؟
وتريث سارتر لحظات قبل أن يشرع في القول :

— « يسرنى أن أخرج الآن عن صمتي ، وذلك بتوجيه حديثي للمصريين والغرب عامة . وأن أنتهز هذه الفرصة لكي أبدى رأيي في المشكلة . كان الهدف من هذا البيان ، الذي نتحدث عنه ، هو محاولة منع وقوع الحرب . لأن الحروب في نظري ليست أبداً بحلول سليمة أو إنسانية للمشاكل . وكما تعلم فقد ابتعدنا الآن للأسف أكثر من أي وقت مضى عن الوصول إلى حل . ولم يكن القصد من هذا البيان هو خروجي من حياد كنت أرغب في الالتزام به وقتذاك ، نظراً لأن العدد الخاص من مجلة « الأزمة الحديثة » عن النزاع العربي الإسرائيلي كان على وشك الصدور بعد ذلك بأيام معدودة . كنت فقط أريد

أن أشير إلى أنني كنت آمل في إيجاد تسوية للمشكلة التي ثارت بعد إغلاق خليج العقبة ، تعتمد على التفاوض بدلا من اللجوء إلى العنف .. ولا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يعتبر هذا البيان معادياً للعرب . فلنني أصر على أنني كنت وما زلت وسأكون دائماً ، حليفاً للشعوب العربية وصديقا لها . وإذا كنت قد التزمت الصمت إلى الآن فهو بالدقة لأنه لم يتح لي فرصة مخاطبة العرب مباشرة . أنت تتيح لي هذه الفرصة اليوم وأشكرك لذلك .

وقدمت ملاحظتي الثانية في شكل السؤال التالي :

— لقد لاحظت أن هناك اتجاهاً عاماً في فرنسا — تحت ضغط الصهيونية العالمية ودعايتها — يرمي إلى تصوير النزاع العربي الإسرائيلي على أنه نزاع بين اليهود والعرب . مع التركيز على أن طبيعة هذا النزاع دينية بحته من جانب العرب . ويستند هذا الاتجاه إلى تعريف العرب بأنهم المسلمون فقط . وهذا غير صحيح كما تعلمون . فالشعب العربي وهو يشكل في الأساس كيانا قومياً من مختلف الديانات يناضل ضد الصهيونية في إطار نضاله العام ضد الاستعمار والتخلف والاستغلال . إن طرح القضية على أرضية دينية يؤدي إلى تشويهها . وقد انتشر هذا التشويه

حتى في بعض الدوائر اليسارية هنا . . فما هو رأيكم في ذلك ؟ .
قال سارتر :

— « يجب أن أؤكد أولاً أنني رأيت عرباً ليسوا مسلمين . هذا صحيح فعلاً . ومن هنا فأنا لا أوافق على اعتبار المشكلة مشكلة دينية . كذلك قال لي الرئيس جمال عبد الناصر في مصر : كيف ” تنتظر منا أن نكون معادين للسامية ونحن أنفسنا ساميون ؟ “ . وإذا صح أن ثمة يهوداً خلال احتدام المعركة الحربية قد نظر إليهم مؤقتاً على أنهم ممثلون لإسرائيل كما حدث في تونس مثلاً ، إذا أحرق الشعب هناك المعبد اليهودي ، إلا أن هذا في تقديرى ليس إلا عملاً انفعالياً . ولا ينفي أن المشكلة الحقيقية هي في جوهرها مشكلة العالم المتخلف الذى يناضل ضد الاستعمار ومن أجل تحسين الظروف المعيشية للشعب . بل من أجل بناء الاشتراكية . ولذلك أعتقد في الحقيقة أن حدوث مثل هذا اللبس بهذه الصورة يعد أمراً في غاية الخطورة . طبعاً وجد من الجانبيين عناصر رجعية نادت بالحرب المقدسة ، ولكنى أعتقد أنه لا ينبغي تفسير الظاهرة على هذا الأساس » .
وعدت أقول :

— إني في الواقع أريد منك أن تفسر لي هذه الظاهرة

الملبوسة والمتحركة فعلا هنا في المجتمع الفرنسي بالذات .
 هل هي أيضاً قائمة في رأيك وتسهم في التشويه والتضليل أم لا ؟
 وأشعل سارتر سيجارة ببطء ، أغلب الظن ليعطى نفسه
 فرصة لترتيب أفكاره ، قبل أن يستطرد قائلاً :

— « صحيح يوجد فعلا اتجاه هنا في فرنسا يرى المشكلة من هذه
 الزاوية . ولكن لعلك لاحظت أن الرأي العام قد تغير كثيراً
 عما كان عليه عند بداية الأزمة . لقد اعتقد عدد كبير من
 الناس ذوى النيات الطيبة — نظراً للتباين الواضح في نوعيات
 المواطنين من هذا الجانب أو ذاك ، وبحكم ما كانوا يقرءونه كل
 يوم — أن الحرب سوف تبدأ من العرب وتنتهى بتحطيم سرب
 ومؤكد لإسرائيل وإبادة اليهود هناك . وقد أثار ذلك شعوراً بالقلق
 العميق لدى الرأي العام في فرنسا ، بصورة معقدة وعلى مستويات
 متباينة . وذلك سواء من عناصر لم تكن تناصر إسرائيل إلا
 لعدائها للعرب ، وأخرى كانت تعطف بصدق على العرب
 والإسرائيليين معاً . ومن المؤكد أن فرنسا انفعلت لهذه الأحداث
 بقوة . ولكن من المؤكد أيضاً أننا تبينا أن المشكلة كانت تنطوى
 على جانب آخر . . لقد ثبت أن إسرائيل تملك جيشاً حديثاً
 معداً إعداداً جيداً وأنها كانت متأهبة للهجوم فعلاً . .

وهاجمت وحطمت واحتلت . ولست أشك في أنك توافقني على أن الرأي العام الفرنسي قد بدأ يتغير منذ ذلك الوقت . ولكن فيما يتعلق بنفسى فرأى لم يتغير على الإطلاق . لاني لم أكن أرغب بالفعل أن تقوم حملة إبادة ضد اليهود . ولكنى أرى الآن أنه يتعين الوقوف بجانب العرب لنتناقش معهم ومن وجهة نظرهم عدداً من المشكلات ذات الأهمية القصوى مثل الاتجاه التوسعى لإسرائيل ، الذى قد لا يكون موقف جميع الإسرائيليين ، ولكنه على وجه التأكيد اتجاه عدد من الرجال المتزبعين فى السلطة حالياً مثل ديان ، وكذلك للمطالبة بحل للمشكلة الفلسطينية . وهناك قضية أخرى قد لا يشعر بها العرب بسبب أن موقفنا قد فهم خطأ ومس مشاعرهم . . وقد أثرت اليوم حتى - من الصحف اليمينية - وهى أنه "يجب التعرض لأساس المشكلة" . وهذا هو الجانب الإيجابى وراء كل أحداث العنف . ومنذ وضحت هذه الحرب فى الأفق برزت المشكلة لفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطينى القومية .. وهى مشكلة كانت غالبة الناس هنا تجهلها لأنه لم تكن لديهم أية معلومات عنها .. « .

- قيل لى إن ٧٠٪ من الشعب الفرنسى لا يعلم أن هناك مشكلة أكثر من مليون لاجئ فلسطينى مطرود من وطنه .

— « طبعاً . . وكيف تتوقع منهم أن يعلموا بهذا الأمر ؟ »
 — ولكن من هو المسئول عن هذا التجهيل المتعمد للقضية ؟
 — « الحكومة والصحافة معاً . فلا يجب أن ننسى أن قطاعاً واسعاً من الرأي العام الفرنسي قد احتفظ به في حالة عداء للعرب بعد عام ١٩٥٤ بسبب حرب الجزائر . هناك مجموعة كبيرة من الناس تقول إن مصر ساعدت الجزائريين . وقد نظر إلى النزاع العربي الإسرائيلي من هذه الزاوية بالذات ، ونسيت تماماً مشكلة اللاجئين الفلسطينيين . وفي تقديري أنه لا بد من زيارتهم — كما فعلت أنا — ليتبين إلى أي حد أصبحت هذه المشكلة عاجلة وملحة . »

وتطرقت في حديثي إلى الجانب الآخر من القضية التي أثارت مع الصهيونية والاستعمار ثلاث حروب خلال أقل من عشرين عاماً ، وما زالت هادرة ساخنة تزداد تعقيداً وغرقاً في الدم ! . . قلت :

— أنت تعلم أن مشكلة العداء للسامية مشكلة أوربية بحتة . وهي مشكلة لم تعرفها البلدان العربية في تاريخها القديم والمعاصر قط . نعم . . هناك مشكلة يهودية لا ريب في ذلك نشأت بسبب اضطهاد اليهود في أوروبا . هل تعتقد أن الحل الذي تتقدم

به الصهيونية العالمية ، وهو حل قائم على العنصرية والتعصب الديني ومرتبطة بالاستعمار ويستهدف إقامة دولة ، خدمة لكل هذه المصالح .. هل يمكن أن يكون هذا حلاً إنسانياً وديمقراطياً للمشكلة اليهودية في العالم . . مع العلم أن هذه الدولة لكي تقوم وتعيش طردت شعباً كاملاً من أرضه ؟

— « أعتقد أن هناك اتجاهين للصهيونية الآن . أحدهما يقول : سنقبل اليهود الراغبين في الحضور فقط . والآخر يقول : سنجلب اليهود بالدعاية إلى الدولة اليهودية . في حين أن الوجه الأول للصهيونية والذي يسمى أيضاً "بالنداء الصهيوني" لا يمكن اعتباره اليوم خطراً ، إذ لا يتضمن اتجاهات توسعية . أما الوجه الآخر ، وهو الذي يمكن اعتباره الصهيونية الإيجابية العاملة ، يشكل بعكس الاتجاه الأول خطراً ضخماً . وبرغم أنني أعتقد أن الـ ١٢,٥ مليون يهودي المقيمين خارج إسرائيل ، تكيفوا مع الحياة خارج أوطانهم وترتبط مصالحهم بالبقاء في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً ويفضلونها على الذهاب إلى إسرائيل ، إلا أن هذا الاتجاه الذي يمثل الصهيونية بالمعنى الدقيق للكلمة ، والذي يستهدف إحضار أكبر عدد ممكن من اليهود إلى إسرائيل ، والبحث في سبيل تركيز عدد كبير جداً من

الناس في مساحة ضيقة للغاية لا يمكن إلا أن ينطوي على أهداف توسعية . فلا يمكن إلا ١٥ مليون يهودي أن يعيشوا في أرض فلسطين وحدها .

ورفعت يدي هنا قائلاً :

— إن ما تقوله عن اختلاف بين اتجاهين في الصهيونية ليس إلا اختلافاً في الوسائل والتكتيك فحسب ، ولكن يبقى جوهر الصهيونية ، وهو في قيامه على العنصرية والتعصب أساساً .
وهز رأسه على الفور مجيباً :

— « من الواضح أن دولة إسرائيل تتشكل فقط من يهود . هذا صحيح . بل أكثر من ذلك لا يمكن في إسرائيل أن تتزوج فتاة غير يهودية من يهودي إلا إذا تهودت . فالدولة إذن دولة مشكلة من يهود فقط . ولكن فيما يتعلق بهذه النقطة فالمشاكل متداخلة ومشوشة بدرجة أنه يصعب إيجاد إجابة شافية سليمة . فهناك يهود غير صهيونيين في إسرائيل ، وهم يريدون بقاء إسرائيل فقط لأنهم يشعرون بأنها أمهم . وهناك يهود صهيونيون أعرفهم في الجناح اليساري داخل حزب المابام ، ولا تنطوي كلمة الصهيونية على مدلول خاص عندهم . إنها مشكلة في غاية التعقيد . وهناك داخل العناصر اليسارية حركة قوية لمناهضة

الجوانب الدينية في الصهيونية وفي مؤسسات الدولة . فمثلا ، عدد كبير من الإسرائيليين يقفون ضد الإجراءات الدينية التي تؤدي إلى وقف القطارات والأوتوبيسات يوم السبت ، وضد منع الزواج بين اليهود وغير اليهود إلخ .. وهناك صراع لا يجب التقليل من شأنه. بين العناصر الصهيونية المتزمتة وبين بعض العناصر اليسارية المضادة للصهيونية . . ولكن للأسف القوى العسكرية والدينية المتعصبة والرجعية هي القوى المسيطرة في إسرائيل في هذه الظروف .

وسكت سارتر عند هذا الحد فقلت له : إنه لم يجب عن سؤالى بالتحديد : — أنا أريد أن أعرف بالدقة رأيكم في حل : المشكلة اليهودية وهل الطريق الصهيوني الإسرائيلي ، هو الحل الموضوعي والإنساني السليم ، وخاصة بعد أن زرتم إسرائيل ؟

وراح سارتر يردد مرات عبارتي « تريد أن تعرف بدقة » قبل أن يسترسل قائلا :

— « أنا أفهم ارتباط عدد من أصدقائي اليهود بإسرائيل .

ولكن من الواضح مع وجود ١٢,٥ مليون يهودي خارج إسرائيل وعدم رغبة هؤلاء في الهجرة إلى إسرائيل ، بينما لا يوجد داخل إسرائيل إلا ٢,٥ مليون يهودي . . أقول . . من الواضح أن

إسرائيل لا تشكل حلاً للمشكلة اليهودية . لقد آمنت دائماً أن المشكلة اليهودية ، التي هي في نظري مشكلة يهودية مسيحية ، لن تجد حلاً لها إلا داخل العالم اليهودي المسيحي ذاته . وأضيف أن هذا التناقض بين اليهود والمسيحيين هو الذي أنتج قوة الحضارة اليهودية وأفاد المسيحيين أيضاً . المشكلة إذن حلها في التناقض بين اليهود والمسيحيين »

— المسيحيون الأوروبيون ؟

— « المسيحيون الأوروبيون بالطبع بل الغربيون عامة ففي أمريكا يوجد أيضاً عدد كبير من اليهود . ولذلك أعتقد أن وجود ١٢,٥ مليون يهودي بخارج إسرائيل ، و ٢,٥ مليون يهودي داخلها لا يمكن أن يجعل من إسرائيل حلاً للمشكلة اليهودية . إن إسرائيل ليست حلاً لمشكلة العداء للسامية . إن المشكلة اليهودية ينبغي أن تجد حلها حينما يوجد اليهود . وينبغي علينا نحن الغربيين ، أن نناضل من أجل هذا الحل . أى في المكان الذي لا يبحث فيه عن هذا الحل أبداً . ولكن أريدكم مع هذا أن تحاولوا النظر إلى المشكلة من زاوية الرؤية هنا في الغرب . فإذا كنت أسلم بوجود إسرائيل ، فليس ذلك لأنني اعتبرها حلاً للمشكلة اليهودية : ولكن بوصفها حقيقة إنسانية قائمة ،

تضم رجالاً ونساء وأطفالاً . . وهؤلاء الأطفال لا يفهمون شيئاً عن المشكلة . ومن هذه الزاوية فالقول بإبادة لها لا يمكن إلا أن تثير الألم . ولكنى مرة أخرى لا أعتقد أن إسرائيل تحقق الحل للمشكلة اليهودية . . .

— ولكن إسرائيل دعى إليها وأنشئت بقوة السلاح كحل للمشكلة اليهودية في الأساس ، وليس كمجرد واقع إنساني لعدد معين من اليهود يلجأون إلى رحاب دولة ما هرباً من الاضطهاد . وترتب على ذلك مأساة إنسانية مروعة عند العرب . هنا جوهر الحقيقة الموضوعية .

— « أنت تعلم موقفى بشأن أثر إنشاء إسرائيل على العرب ، ولا أرى ضرورة تكرار ذلك الآن . وفي تقديري أن الصهيونية كما تصورها "هرتزل" في نهاية القرن التاسع عشر ، أى القائمة على فكرة إنشاء دولة يهودية في القدس ، لم تكن جريمة بمقياس ذلك العصر . : لماذا ؟ لقد كانت حلاً استعماريّاً مثل كل الحلول الأخرى في ذاك الحين . لم يكن أحد يفكر في ذلك الوقت في مصير الشعوب المستعمرة أو التي كان يفرض عليها الاستعمار بالانتداب . وكانت فلسطين تتبع في ذلك الوقت الأتراك . فالذين تقلعوا بذلك الحل وقتذاك كانوا يتقدمون

بجل يعكس معطيات عصرهم . . والكارثة هي أن هذا الحل لم يتحقق إلا في عصر آخر . . عصر أخذت الشعوب فيه تعي مصيرها وأخذ الاستعمار طريقه إلى الزوال . ولذلك فالحل عند تنفيذه يحمل البصمات الواضحة لمفهوم غربي .

— ولكن ألا ترى أن الأمر الخطير هو أن الصهيونية تهدف باستمرار — وبحكم مفهوم الأحداث المتوالية — إلى توسيع حدود إسرائيل على حساب العرب لإفساح المجال لمهاجرين جدد وعلى الدوام ؟

— « نعم . وأعتقد أن هذا الاتجاه خطير بالفعل ولا ينبغي التسليم به . وأنا أعرف يهوداً هنا في فرنسا مناصرين بقوة لإسرائيل ولكنهم يتناقضون مع أنفسهم لأنهم لا يريدون الحياة في إسرائيل ويفضلون الحياة هنا . أفكر مثلاً في مزراحي . . إنه يدافع عن إسرائيل ويتبنى وجهة نظرها بقوة لدرجة أنه خلال الأحداث الأخيرة قد وقع صريع أزمة صحية حادة .

ومع ذلك كله فمزراحي ما زال هنا . وهذا تناقض مألوف جداً عند يهود أوروبا . إنهم يريدون إسرائيل ولكنهم لا يريدون الذهاب للإقامة بها . »

وعندما تقدم الحوار إلى هذا الحد وضعت أمام عين سارتر

ظاهرة موضوعية أخرى محددة ، طالباً منه تفسيرها . وهي أنه في كل مرة تنشب حرب بين إسرائيل والبلدان العربية تكون إسرائيل وقادتها الصهيونيون هم الذين يبادرون بالعدوان العسكري بمساعدة مادية وعسكرية وسياسية : مباشرة وغير مباشرة من القوى الاستعمارية .

ومضت لحظات صمت قبل أن يعطى سارتر التفسير التالي :
 — « لتحديد موقف دقيق بشأن هذه المشكلة ، يجب أن نلاحظ أولاً أن إسرائيل لا تستطيع أن تقضى على حقيقة وجود مائة مليون عربي . ولذلك فمن المتصور أنها ترى إلى أعمال توسعية أو تسهم في إحداث انقلاب ضد حكومة عربية ، ولكن من غير المتصور أن إسرائيل عندما ترفع السلاح ضد مصر تهدف إلى القضاء على مضر كأمة أو دولة . . فهذا عديم المعنى . ولكن من الناحية الأخرى أن التهديد الذي يواجه إسرائيل في حالة وقوع الحرب ، ومهما احتاط العرب لعدم المساس بحياة الأفراد ، هو القضاء على إسرائيل كدولة . ولذلك فالموقف من الحرب ليس واحداً من الجانبين . فمن ناحية ، يناضل العرب للدفاع عن منجزاتهم الاجتماعية ضد الاستعمار وضد إسرائيل التي يعتبرونها رأس رمح للاستعمار . ومن الناحية

الأخرى أى بالنسبة لإسرائيل فالقضية ليست قضية المنجزات الاجتماعية ضد الاستعمار وإنما القضية هي قضية وجودها غير المعترف به من جانب الدول العربية . . ومن هنا فهي تتسلح بصورة استثنائية وتقيم سياسة تهض على القوة العسكرية ، وقد زادت هذه السياسة تفاقماً نتيجة اعتمادها على عدد محدود من السكان . ومن هذه الزاوية يمكن اعتبار إسرائيل في حالة تأهب عسكري دائم وسط العرب . ولما كانت الدوائر الحاكمة في إسرائيل مكونة من "الاشكيناز" ، أى اليهود الوافدين من أوروبا ، كانت النتيجة أنها تمثل رأس رمح غربي . وفي هذه النقطة يهمني أن أبرز موافقتي ، بشكل عام وغير تفصيلي ، مع وجهة النظر العربية القائلة بأنه في عام ١٩٥٦ وفي عام ١٩٦٧ قد حدث تواطؤ بين الاستعمار وإسرائيل . وهذا التواطؤ هو في الحقيقة مؤامرة كاملة . وقد استخدم الاستعماريون الأمريكيون إسرائيل استناداً إلى تواطئها معهم بوعي ، لضرب الشعوب العربية . ورأى الشخصى هو أن الأمور تفضى إلى أن إسرائيل في كل مرة تطلق عدوانيتها ، لأسباب تتعلق بكيانها وجودها . ولكنها تخدم موضوعياً المخطط الاستعماري . . «

— المخطط الاستعماري الأمريكي بالدرجة الأولى . .

— « نعم . . الاستعمار الأمريكي خاصة . وفي هذه المرة أغلب الظن أنه ليس هناك اتفاق محدود ومكتوب بين أمريكا وإسرائيل من خلال مبعوثين أمريكيين مثلاً . . ومع ذلك فأنا أسلم موضوعياً أن الحرب التي أشعلتها إسرائيل أخيراً لا يمكن إلا أن تخدم المصالح الأمريكية » .

مضت أكثر من ساعة وأنا أجلس إلى سارتر ونبرات الحوار ترفع حيناً وتخفض حيناً آخر ، ومقاطعات كل منا للآخر تروح وتجيء بلا انقطاع ، وموجة الحرارة التي طافت بباريس يومها ، أسهمت في إشعال العديد من الكلمات .

قلت لسارتر ، متابعاً الحوار معه :

— هل لي أن أوجه إليك سؤالاً معيناً ؟ كيف تفسر أنه في كل مرة يحقق فيها النضال العربي مرحلة معينة من التطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي يتبلور في إنجازات تقدمية ، تتحرك إسرائيل على الفور للعدوان سواء في تحالف صريح أو خفي مع القوى الاستعمارية ؟

أجاب :

— « الحق أن إسرائيل عام ١٩٥٦ قد استفادت من المؤامرة البريطانية الفرنسية المتعلقة بالسويس . أي من واقع أن الدول

الاستعمارية كانت قد قررت التدخل في السويس . ولا أظن أن إسرائيل في ذاتها قادرة ، أو تسعى وحدها لتحطيم العرب . ويمكن أن أقول بشكل عام إنني على سبيل القطع لا أعتبر إسرائيل بلداً تقديمياً . إن تطور إسرائيل لا يجري في اتجاه تقديمي . إن يهود "الكيوبتز" القدامى الذين وفدوا إلى فلسطين في وقت لم تكن فيه إسرائيل دولة ، حاولوا صنع اشتراكية . ولكنها لم تتمكن بالطبع من أن تنهض بنفسها . والآن أعتقد أن تطور القطاع الخاص الحالي في إسرائيل قد قضى تماماً على كل المعطيات التقدمية التي وجدت في البداية حين لم تكن هناك دولة إسرائيل ، وإنما فلسطين كماوى لليهود . . أولئك الذين ، كان يطلق عليهم في الغرب اسم اليهود القديرين . . إذن فلست أظن أن ثمة تقدمية إسرائيلية هناك . وهذا لا يعني أنه ليس هناك صراع طبقي في إسرائيل لأن اليهود الشرقيين أي السفارديم ، يمثلون العنصر البروليتاري المعرض للاستغلال وهم لا يندمجون في المجتمع الإسرائيلي المسيطر عليه اليهود الغربيون أي الأشكناز ، إلا ببطء وصعوبة .

قلت لسارتر :

— لعلك لاحظت خلال الحملات التي شنت على نطاق

واسع في فرنسا ضد القضية العربية ، أن العناصر الموالية لإسرائيل ومن بينها بعض الذين عارضوا حرب الجزائر ركزوا على اتهام مصر بأنها بلد فاشي ، وقارنوا الرئيس جمال عبد الناصر بهتلر . لقد زرم بلادنا وقابلتم جمال عبد الناصر فهل ترون أن هناك أساساً ما لذلك الاتهام وهذه المقارنة ؟

وارتفع صوت سارتر بحدة وهو يقول :

— « إنني أعتقد أن هذا الاتهام في غاية السخف ، وأنه من ذلك النوع الذي يتولد عن اندفاع أهوج والذي يتعين إهماله وإدائه تماماً . لقد وصفت شخصياً الرئيس جمال عبد الناصر ، ليس فقط في المؤتمر الصحفي الذي عقدته في القاهرة حيث يمكن الظن أن حديثي كان من قبيل المجاملة ، وإنما كذلك في مؤتمر الصحفي بإسرائيل وأمام المسؤولين الإسرائيليين أنفسهم ، وصفته بأنه سياسي واع وقدير وحكيم ، يعتبر واجبه الأساسي كرئيس للدولة هو خلق ظروف اجتماعية أفضل عن طريق بناء الاشتراكية في مصر . ولقد لمست بنفسى خلال حديثي معه مدى اهتمامه العميق بالمنجزات المصرية ومقدار وعيه الكبير بما تواجهه البلاد من مشاكل التنمية حتى في الداخل ، مثل الزيادة الكبيرة في عدد السكان . وكان



حديثنا يدور حول هذه القضايا . ولقد تكلم الرئيس جمال عبد الناصر عن مشكلة إسرائيل بطريقة غاية في الشمول والعمق والاتزان . وليس بالتالي ثمة وجه للمقارنة بين رجل الدولة هذا الواعى تماماً بالواقع والأهداف والمصاعب وبين هتلر ، ولا حتى بينه وبين أى دكتاتور من أولئك الذين يحكمون هنا وهناك فى العالم حالياً . ليس ثمة وجه للمقارنة إطلاقاً . ولا شك أن محاولة بناء الاشتراكية قد بدأت حتى الآن على نحو ما بقيادة من أعلى . وربما كان مرجع ذلك عدم النمو الكافى للوعى الطبقي فى مصر . والآن بعد هذا الحدث الكبير الذى شهدته البلاد عندما أعلن عبد الناصر يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ تنحيته ، فتمسكت به الجماهير الشعبية بقوة ، يثبت أن عبد الناصر يجد خلفه القوى الشعبية الهائلة التى تسنده . وهذا دليل على الوحدة الثورية التى تم تحت قيادته . وإذا كانت الوحدة الثورية تؤكد نفسها فى مثل هذه الظروف التى وصفها هو بالنكسة . فإنه يجب أن نذكر فى نهاية الأمر أن الكوارث والنكسات هى دائماً تصنع الثورات . . تصنع الثورات القوية . وإننى أعتقد أن مصر والشعوب العربية تنطلق اليوم فى الاتجاه الصحيح .

— أود لو أمكنكم أن تفسروا لى حقيقة الدوافع التى تحرك

هذا الاتهام بالذات في الدعاية المعادية للعرب في فرنسا ، على وجه خاص ؟

— « إن ناصر مكروه في قطاع كبير من الرأي العام الفرنسي ، وأعني به قطاع اليمين بالذات ، وجزءاً من القطاع اليساري . ، وهو مكروه بقدر ما أثبت أنه تقدمي . فالفرنسيون اليمينيون لا يغفرون له أنه ساعد جهة التحرير الجزائرية في نضالها من أجل استقلال الجزائر . ومن ناحية أخرى توجد ثمة أنواع من العناصر اليسارية مثل " جى موليه " لا تغتفر له إطلاقاً هزيمتها في حرب السويس . والواقع أنه يجب أن نفهم هذا التماثل في الموقف . فلم يكن لفرنسا نفس المصلحة التي كانت لبريطانيا في السعي لقلب نظام جمال عبد الناصر ، على أثر تأميم قناة السويس . ولكنها كانت تريد قلب النظام الذي كان يساند الجزائريين . وبعبارة أخرى كان الدافع الحقيقي لمغامرة السويس عند الفرنسيين ، هو الرغبة في القضاء على نظام تقدمي كان يساعد الجزائر . ومن هذا الحقد تولدت الدعاية التي تريد أن تصور من عبد الناصر دكتاتوراً هتلرياً . . صورة زائفة وحقودة » .

وانعطف الحوار مرة أخرى إلى الحرب والعدوان فتساءلت :

— لقد أدنتم في محكمة رسل التي عقدتموها أخيراً في السويد استخدام أسلحة الإبادة الجماعية مثل النابالم . ولقد استخدمت إسرائيل في عدوانها المفاجئ ضد البلاد العربية النابالم ، ضد العسكريين والمدنيين معاً . ويفخر ديان بهذا ويعتبره أمراً طبيعياً في الحرب . فما هو رأيكم في هذا الموقف ؟ وفي تصريح ديان بأن إسرائيل لا يعنينا في قليل أو كثير مشكلة اللاجئين الفلسطينيين الذين يتزايد عددهم اليوم باستمرار بسبب طرد مئات الألوف الجدد من جانب إسرائيل ؟

واعتمد سارتر في مقعده وكأنه قاض يتلو حكماً ثم قال :
— « إنني أعتبر بوضوح أن استخدام النابالم في أى مكان سواء في فيتنام أو ضد المصريين والسوريين والأردنيين عمل إجرامى في جميع الأحوال » .
قلت :

— هل أفهم من ذلك أنك تعتبر « ديان » مجرم حرب ؟
هتف بلهجة قاطعة :

— « نعم . . الجنرال ديان مجرم حزب بسبب استعمال النابالم ، وبصفة خاصة بسبب الرغبة في التوسع » .
وترث سارتر برهة قبل أن يستطرد :

— « من الأمور الغريبة أنى حين ألقيت فى تل أبيب

حديثاً عن محكمة رسل كان ديان بين الحاضرين فى مقدمة

الصفوف . إننى لم أره ولم أتحدث إليه ، ولكننى علمت بأنه

كان هناك . ولست أدري لماذا حضر ، ولا ماذا كان يبغي ؟ ..

على العموم فيما يتعلق بتصريحاته التى أشرت إليها ، ورفضه

الكامل لعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم ، فإننى أعتقد

أن هذا الموقف ضار للغاية لا من وجهة نظر الفلسطينيين فحسب

بل بالنسبة للإسرائيليين أنفسهم . إننى أعتقد أن المأساة التى

تقع عندهم هى عكس ما يحدث فى البلاد العربية . فغرور

العسكريين الإسرائيليين ونجاحهم فيما فعلوه خلال الحرب قد

ترتب عليه أن القوى الرجعية والمتعصبة دينياً هى التى تستولى

حالياً على السلطة تماماً .

إن الأمور الواضحة لدى الآن ، أن أول ما كان ينبغى

على الحكومة الإسرائيلية أن تفعله أن تناقش وتحدد فوراً

موعد انسحاب قواتها إلى قواعد الأصلية أى إلى حدود سنة

١٩٤٩ . ولكن من الواضح أيضاً أنهم لا يفعلون هذا . فى

حين أنى أتصور أنه كان يجب أن يفعلوا هذا خلال ثلاثة

أيام على الأكثر .

كذلك يتعين علينا أن ندين بشدة الاتجاهات التوسعية التي ظهرت في إسرائيل ، حيث إنه من المسلم به اليوم أن الحروب المشروعة هي حروب التحرير وحدها . وليست بحال حروب التوسع والاحتلال . ولكن ضم أى مناطق بالقوة مثل ضم مدينة القدس العربية فهو عمل جنونى تماماً . ومن هنا أقول إننى أعتبر استخدام النابالم في الحرب ، كما أعتبر الاتجاه التوسعى إذا ما تحددت معالمه ، أعتبرهما أمرين إجراميين .

قلت لسارتر :

— لقد استخدمت الآن في حديثك عبارة « إن الحرب المشروعة هي حروب التحرير وحدها » . . .

وقاطعنى :

— « تماماً . . أليس كذلك ؟ »

واستأنفت :

— تماماً . . وهنا أريد أن أثير معك نقطة جوهرية . . ألا

تعتبر أن نضال الشعب الفلسطينى المطرود من أرضه من أجل العودة إلى وطنه ، نضالاً تحررياً مشروعاً . . أم أنك تضعه ،

كما تضعه الدوائر الصهيونية في إطار الأعمال الإرهابية ؟

أجاب :

— « إن ما اعتبره أنا شخصياً من قبيل الأعمال الإرهابية لا ينطبق على نضال الشعب الفلسطيني من أجل العودة . إننا هنا بصدد نضال من أجل الاستقلال . وهذا النضال هو الذى سيحمل الجميع دون استثناء بما فى ذلك الدول الكبرى على الإقرار بأن القضية الفلسطينية قضية أساسية . وأعتقد فيما يخصنى أن مشكلة الدولة الإسرائيلية مشكلة ثانوية . أما المشكلة الأساسية فهي عودة الفلسطينيين إلى وطنهم . وارتباط الإسرائيليين والفلسطينيين بشرق أوسط تقدمى » .

قلت :

— هل تقصد هنا الطوائف اليهودية والعربية ؟

قال :

— « تماماً . وإن الشرق الأوسط الذى يتكون بهذا الشكل يمكنه أن يجد حلاً لمشكلاته بعيداً عن الحرب » .

وهنا طرحت على سارتر ظاهرة الاستقطاب فى القوى الدولية بسبب العدوان فقلت :

— لقد أصبح واضحاً الآن أن إسرائيل تتمتع أساساً بمساندة الاستعمار العالمى ، وهى تقف اليوم فى جبهة مع أمريكا وبريطانيا وألمانيا الغربية ، وذلك فى مواجهة جبهة مكونة من

الشعوب العربية والقوى الاشتراكية والعالم الثالث . . كيف
تحلل هذه الظاهرة ؟

وجاء تحليل سارتر على النحو التالى :

— « إننى أعتقد أن إسرائيل ، بكل أسف ، من حيث
إنها قد نشأت بفعل مهاجرين قادمين من الغرب . وإنها حين
وجدت كدولة تمتعت بعون القوى الغربية . . هذا فضلاً عن
رفض العرب لأى تعامل معها . بهذا كله أصبحت إسرائيل
اليوم موضوعاً إلى جانب الاستعمار . ومساندة إسرائيل يقوم
بها اليوم الإنجلو أمريكيون وبصفة خاصة الأمريكيون . هذا
واقع . وكما قلت لك هو واقع تاريخى تطور من تلقاء ذاته .
وهنا أختلف معك فى أن هذا كان منذ البداية ثمرة تواطؤ مباشر
مقصود من جانب الإسرائيليين . بعبارة أخرى نحن الآن بصدد
واقع موضوعى تكون تاريخياً ، وفى تقديرى أنه ربما كان من
الممكن أن تسير الأمور فى غير هذا الاتجاه عام ١٩٤٨ ، ولكن
ما حدث كان غير ذلك . ومن ناحية أخرى فإننى أعتبر من
المنطقي والمشروع تماماً أن يعلن العالم الثالث والقوى الاشتراكية
تضامهما مع العرب ، حيث إن العرب مناضلون من أجل الاستقلال
والسيادة القومية ضد المصالح الاستعمارية ، وبصفة خاصة

المصالح البترولية . وأنا واثق كذلك أن الاستعماريين يحرصون على استخدام إسرائيل ككلب حراسة ، ولكني أُلح شخصياً على اعتبار أن هذا الدور ليس في مصلحة الإسرائيليين . . إن مصلحة الإسرائيليين عكس ذلك . إنها في القضاء على الالتحام الموضوعي الذي أشرت إليه . وإن دولة تتكون من عنصرين ساميين ، عرب فلسطين واليهود لن يكون لها عندئذ طابع استعماري أو غربي أو عنصري .

وتساءلت :

— هل تعتقد أن حرب ٥ يونيو في الشرق الأوسط قد وضعت نهاية المفهوم التقليدي للتعايش السلمي ؟

أجاب سارتر :

— « الحقيقة أنني أعتقد أن سياسة التعايش السلمي قد تهددت بالفعل منذ حرب فيتنام . وأعتبر أننا الآن على مشارف حرب عالمية ثالثة . ولست أرى — في تقديري — عنصراً يسمح بتطور العالم الثالث في ظل السلام إلا القنبلة الصينية . ذلك أنني لا أعتبرها من عوامل الحرب ، بالعكس إنها عامل من عوامل توازن الرعب . وحين ينجح الصينيون في صناعة الصواريخ ، حيث يصبحون دولة ذرية مهيبة ، سيحس العالم الثالث بأن

عنده وسائل الدفاع ويمكن بذلك أن تسير الأمور في مجرى يختلف عن مجراها الحالى . إننى أثق تماماً بكلمة الصين بأنها لن تبدأ باستخدام القنابل الذرية . ولكن امتلاك الصين للقنبلة الذرية سيطلق حرية الحركة لأولئك السبعمئة مليون الذين يمثلون إلى نحو ما مصالح العالم الثالث ، والذين يهددهم دائماً كون سمائهم مفتوحة للانتقام الذرى . وعندئذ سينشأ توازن جديد قائم على الرعب ، يتوافر فى ظله ضمان لجهود العالم الثالث من أجل الاستقلال والارتقاء بمستواه الاجتماعى وبمنجزات التنمية . ولا ينبغي أن يفسر كلامى هذا على أنه موقف موال للصين أو معاد للروس . فليس ذلك قصدى .

— هل لأن الاستعمار الأمريكى قد حقق موضوعياً بالفعل مكاسب كثيرة أخيراً ؟

— « لقد كسب الاستعمار الأمريكى كثيراً فى الفترة الأخيرة ، وبالدقة لأن الصين لم تملك بعد وسائل وقفه » .

— هل يمكن القول بأن الاستعمار الأمريكى نتيجة حركته التخريبية العدوانية الشاملة هذه ، قد أصبح مسئولاً عن خطر اندلاع الحرب العالمية الثالثة ؟

— « طبعاً » . .

وعاد الحوار من جديد إلى جوهر الصراع العربي الإسرائيلي
عندما قال سارتر :

— « إن القضية كما ترى هنا في الغرب معقدة . . وهذا ما
ألح على أصدقائي العرب أن يدرسوه ويبحثوه . إن القضية هنا
هي قضية يهود عاشوا سنوات الاحتلال في فرنسا ، وما شهادته
من الرعب والمجازر . والذين لمسوا تواطؤ الفرنسيين والألمان في
ذلك الوقت ، أنبت عندهم فكرة مغادرة هذا العالم الغربي بدل
فكرة الاندماج فيه . لقد استبدت بهم فكرة البحث عن مكان
يكون لهم ، ويقبلون فيه . . ولست أعنى بذلك طبعاً أن النتيجة
المنطقية لمثل هذا التفكير أن تكون إقامة دولة إسرائيل على حساب
العرب . وإنما أردت فقط أن أكشف لكم عن شعور أولئك
الناس . حقاً إنه من الصحيح أيضاً ما تقولونه أنتم من أن
الغربيين تخلصوا من عقدة الذنب إزاء اليهود بإرسالهم عند
العرب ، الذين لم يكونوا طرفاً في الموضوع ولا يتحملون بحال
مسئولية مذابح اليهود . . ولكن يجب النظر للمسألة من الجانب
الآخر أيضاً . . »

— ياسيدى . . لقد قلت الآن إن هؤلاء اليهود الغربيين هاجروا
من أوطانهم لأنهم كانوا يريدون مكاناً يقبلون فيه هرباً من

الاضطهاد . ولكنهم هبطوا في الواقع على فلسطين بالقوة ، وتمتعوا في هذا المكان بامتيازات على أساس أنهم يهود . وذلك على حساب غيرهم من الناس أهل البلاد الأصليين الذين إما طردوا وإما ظلوا تحت الإرهاب لا يتمتعون بأى امتياز في بلدهم لأنهم أولا وأخيراً غير يهود !

— « إذا تحدثت عن هذا فإننى قلت في إسرائيل ، وأقول من جديد ، إن وضع العرب في إسرائيل هو وضع مواطنين من الدرجة الثانية . وليس في هذا أى شك . هناك مشكلتان مرتبطتان معاً كل الارتباط ويجب حلها قبل كل شىء وهما المشكلة الفلسطينية بمعنى هؤلاء الذين طردوا ، ومشكلة العرب داخل إسرائيل . وهى مشكلة صعبة لأن السلطات الإسرائيلية منحهم شكلياً حقوق الديمقراطية البرجوازية ، فهم يتمتعون بحق الانتخاب ؛ وهذا لا يسبب أية مشكلة للإسرائيليين الذين يبلغ عددهم ٢,٥ مليون يهودى ، في حين أن عدد العرب ٣٠٠ ألف فقط . ومعنى هذا إمكانية وجود بعض النواب العرب ، ولكنهم بالطبع أقلية ضئيلة جداً لا تستطيع أن تفعل شيئاً . وليس هناك أى حزب عربى . . غير مسموح . ويجب على العرب أن ينضموا إلى الأحزاب الإسرائيلية فقط ، وكذلك اتحادات الطلبة

وغيرها . . . ومن هنا العنصرية . ومن الواضح كذلك أن من الناحية الاقتصادية لا يمكن أن يحصل العرب على وظائف ذات درجات عالية ، والأغلبية منهم يعملون في مقاولات البناء .

— ماذا قالوا لك هناك عندما أعلنت الحق القوي للشعب

الفلسطيني في العودة ؟

— « لقد تناقشت في ذلك مع بن جوريون مثلاً . وهو

ضد . . . ضد . هم ضد . من المحتمل أن يوافق على هذا ما أسميه باليسار الإسرائيلي ، ولكنه خائف . : يخافون هناك أن

تفجر البلد لو عاد اللاجئون . وعلى العموم اليسار ضعيف .

— هذا هو بالدقة منبع العدوان . طرد أهل البلاد وإقامة

دولة عنصرية بالقوة المسلحة مستندة إلى القوى الاستعمارية

واحتكاراتها .

ولم يعلق سارتر بشيء ومضت فترة صمت . . وكان واضحاً

أن كلا منا قد فرغ رأسه من القضايا أو الأسئلة التي يريد

طرحها . وقطعت الصمت قائلاً بمزاح : عندما كنت أعمل

محامياً كان كل نقاش في موضوع قضائي ينتهي بسؤال : هل

لديك أقوال أخرى ؟

وابتسم سارتر وقال :

— « نعم أريد أن أنهي هذا الحديث بما أعتقد أنه فهم خطأ . بمعنى أنى أريد أن أؤكد لأصدقائى العرب أن ما وقع بسبب البيان الذى وقعت عليه قبل الحرب لا يعدو أن يكون مجرد سوء تفاهم .

لقد قلت من قبل فى مصر وفى إسرائيل ، إنى أنطلق من نقطتين : ضد إبادة الإسرائيليين . ومع الاعتراف بالحقوق القومية الكاملة للفلسطينيين جميعاً فى العودة إلى الوطن . قلت هذا فى المرتين ... ولم أفعل شيئاً آخر فى الوقت الراهن . وأكثر من ذلك فإن لى رأياً محدداً ، وهو أنى أقف إلى جانب الإنجازات التقدمية لمصر والعالم العربى كله . إننى الآن كما كنت دائماً . لقد أسىء فهم موقفى وأسىء فهم البيان وتأويله . لقد أردت فقط الإشارة إلى عدم موافقتى على اتخاذ أسلوب الحرب . وكان يبدو لى وقتذاك أن قرار إغلاق خليج العقبة من شأنه أن يزيد من خطر الصدام المسلح . وقلت لا تفعلوا ذلك . . . «

— ولكن من المؤكد أنك تعرف الآن حقوق المصريين بالنسبة لموضوع خليج العقبة .

— « أعرف كل حقوق المصريين . ولكن كما قلت كنت أفكر وقتذاك فى المسألة من ناحية التوقيت ، وليس كمسألة حق .

— ولكن جاء تعيين مناحم بيجين وديان في الوزارة الإسرائيلية كتدبير مبيت للحرب والعدوان .

— « فعلا . . منذ تعيين ديان كانوا قد قرروا العدوان . ليس هناك شك في ذلك ، قرار تعيين ديان كان قراراً بإعلان الحرب » .

— هل يمكن في رأيك ، ربط حرب ٥ يونيو ، بالانقلاب العسكري الذي وقع في أبريل باليونان ؟

— « على كل حال . . فإن هذا كله يشكل مجموعة أحداث متشابكة ومتقابلة » .

وعلى باب البيت صافحني سارتر، مودعاً وهو يقول :

— « أرجو أن تنقل للشعب المصري وجميع الشعوب العربية تضامني معها في هذه المرحلة . إنني أفهم جيداً جراحها وأشاركها مشاعرها وأتمنى لها الاستمرار في نضالها . كما أتمنى للرئيس جمال عبد الناصر أن يلتقي دائماً ، ما تأكد أخيراً ، من تأييد الجماهير الشعبية ليواصل نضاله وإنجازاته » .

وثائق

(أ) خطابات مفتوحة بين « رسل » وبين « الطليعة »

(ب) آراء « لسارتر » حول القضية الفلسطينية .

خلال زيارته للجمهورية العربية المتحدة وغزة في فبراير -

مارس عام ١٩٦٧ .

(١) خطابات مفتوحة بين « رسل » وبين « الطليعة »

خطاب مفتوح من برتراند رسل

إلى المثقفين العرب

[وجه رسل هذا الخطاب إلى الطليعة في أواخر
مارس عام ١٩٦٥ مفتوحاً بذلك الحوار بينه
وبين المثقفين العرب . وقد نشرت الطليعة
الخطاب وتعليقها عليه في عددها الصادر في
أول أبريل عام ١٩٦٥]

تواجه البشرية أزمة خطيرة لا يقتصر أثرها على مطالب
الإنسان الأولية ، بل تهدد بقاءه على هذا الكوكب . فإن
الجزء المتقدم من عالمنا عندما وجه أغلب موارده إلى التسليح ،
فرض حياة مشحونة بالخطر على الجزء الآخر من العالم ، وأكد
استمرار شقاء شعوبه ، كما بعث شبح الإبادة ينجم على الجميع .
لهذا أصبح على المثقفين العرب مسئوليات خطيرة تجاه شعوبهم ؛
فإن الظروف التي أوضحناها باختصار قد أثرت على العالم العربي
تأثيراً حيوياً ، وكان تحرر العرب من السيطرة الغربية من أعظم

الحركات الثورية في عصرنا الحاضر . ونظراً لوجود المصالح الحيوية للدول الاستعمارية التي تعتمد صناعاتها على البترول في الشرق الأوسط ، فقد انغمست هذه الدول في التآمر على وقف التيار الكاسح للاستقلال والتقدم الاقتصادي الذي ساد البلاد العربية ، وذلك حتى تحمي هذه المصالح الاستعمارية .

وقد أدى هذا الموقف ليس فقط إلى سمة بروز الانضباط بل أيضاً الحكم القيادي الفردي الطابع ، في كثير من الأحيان بين حركات التحرر الوطني التي تعبر عن آمال الشعوب العربية .

ونحن في الغرب ندرك أن الضغط الرهيب الذي تمارسه حكوماتنا ضد البلاد العربية ، والذي يتخذ شكلاً اقتصادياً مرة ، وشكلاً عسكرياً مرة أخرى أوجد مشاكل عديدة في مواجهة الحكومات المستقلة وحركات الاستقلال الشعبية في هذه المنطقة . فكانت النتيجة أيضاً عدم الترحيب بالاختلافات في الرأي ، الأمر الذي يمكننا إدراكه وفهمه ، بل قد يكون حتمياً في بعض الحالات . كل هذه الظروف الخاصة تضع مسئوليات مضاعفة على عاتق المثقفين العرب قد تفوق مسئوليات غيرهم من الجماعات المثقفة . لأنه في بعض الحالات الهامة كان

التشدد مع الآراء المختلفة المعارضة سبباً في تعريض استقلال وتطور الشعوب العربية ، للتعويق والتشويه .

إن شعوبكم تتطلع إليكم ، وتلقى مسئولية تأكيد الديمقراطية ، خلال عملية التطور عليكم ؛ فإن أجداد الشعوب العربية لم يصنعها أدبها ولا شعرها ولا فنها ولا علومها ولا حتى جمال لغتها فحسب ، بل إن عظمة هذه الشعوب وتقدمها يصنعه أيضاً الذين يملكون الاستقلال الثقافي ويمارسون النقد الذكي ، لأن هذا هو ثروة أى شعب ، وسر قوته الخالدة التى تمكنه من تحقيق الاستقلال الفعلى ، والاكتفاء الذاتى ، ويتيح له القدرة على الخلق وتوفير الأمن . والقوة العسكرية لم تحقق لأى أمة من الأمم الاستقرار ولا راحة البال ما دامت ثقافتها عاجزة عن توفير الحياة المثمرة ، وعن إثارة حوافز التحدى لدى هذه الأمة ، بل إن التقدم الاقتصادى فى حد ذاته إذا اقتصر على تحقيق الربح الشخصى يصبح تقدماً فجئاً وفاسداً ، كما نرى فى الغرب ، ما لم توجه ثمار هذا العمل نحو أهداف أخلاقية . وترتبط هذه المشاكل كلها ارتباطاً مباشراً بآمالنا المعلقة على السلام . لأنه فى هذا العالم المعقد ، عندما يواجه المسئولون عن شئون أمة ما ضغوطاً هائلة ، فمن الضرورى أن يتخذ المثقفون

العرب موقفاً صريحاً إلى جانبي حرية التعبير ، والديموقراطية الحقيقية لكل المستويات في المجتمع ، وأن يعملوا على خلق مناخ من الحماس للنقد البناء .

ونحن إذ نواجه سباقاً للتسلح الذرى في العالم بما فيه الشرق الأوسط ، نجد أن التناقضات المختلفة التي تهدد السلام في العالم تمثل أيضاً خطراً جسيماً على حياة الشعوب العربية . فإذا اتخذ المثقفون العرب سبيل الصراحة والاستقلال كان في استطاعتهم مشاركة كل العاملين بإخلاص من أجل السلام — بدون استثناء — على استكشاف احتمالات تحقيق السلام . وإذا كانت العواطف القوية ضرورة للعمل الإنساني ، فلا بد أن يوجه العقل هذه العواطف بعناية شديدة نحو خدمة الأهداف البناءة دون غيرها . وتقع على المثقف مسؤولية البحث بشجاعة عن كل الطرق التي توصل إلى الحل السلمي للمشاكل الصعبة . وفي مقدمة القضايا التي تواجه الشعوب العربية اليوم ، نزع السلاح الذرى ، إلغاء القواعد والأحلاف العسكرية ، تحقيق الاستقلال الاقتصادي الحقيقي بالإضافة إلى تخطي كافة العقبات التي تعوق طريق تجنب الحرب . وإني أتطلع إلى مبادرة المثقفين العرب ، وإلى تعاونهم الوثيق في العمل على التقدم نحو أغراضنا

المشاركة ، في تجنب الحرب ، وتنمية الموارد من أجل الأهداف
البناءة ، واتباع كافة السبل الممكنة لحل الخلافات القائمة .

* * *

تعليق « الطليعة »

حول خطاب « رسل » المفتوح

تنشر « الطليعة » — بترحاب وتقدير — الخطاب المفتوح
الذي بعث به إليها ، رجل السلام العظيم « برتراند رسل » ،
ويوجهه على صفحاتها إلى المثقفين العرب وتود الطليعة
— بادئ ذي بدء — أن تؤكد « لرسل » ما يكنه المثقفون العرب
الذين يخوضون معركة شعوبهم من أجل الحرية والاشتراكية
والوحدة والسلام — من تأييد حار ومشاركة إيجابية ، بجهوده
الشجاعة والبناءة — الفردية والتنظيمية — في سبيل انتصار قوى
السلام على قوى الحرب والعدوان في عالمنا .

وفي هذا الإطار تسمح « الطليعة » لنفسها بأن تبدى بعض
الملاحظات على ما جاء بخطاب رسل المفتوح :

أولا : أن التعميم الذي أبداه « رسل » في خطابه حول
« تحرير العرب من السيطرة الغربية » لا يتفق والواقع الموضوعي

تماماً . فإذا كانت بعض أجزاء الوطن العربي الطبيعية قد تحررت بثوراتها فعلاً عن التبعية الاستعمارية ، فما زالت بعض الأجزاء الأخرى مقيدة الحرية إما بطريق غير مباشر ، يكون فيه الاستقلال شكلياً ، مفرغاً من مضمونه السياسى والاقتصادى ، وإما بطريق احتلالى مباشر أو عدوانى مسلح ، كما هو الحال فى الجنوب العربى المحتل ، أو فى الاعتداء على جمهورية اليمن ، أو فى العدوان الصهيونى العنصرى المستمر على عرب فلسطين .

ومن هنا فحركة الشعوب العربية — ككل — مع الاستعمار العالمى — القديم والحديد — ما تزال مستعرة ومستمرة . وتشترك فيها بنصيب حيوى شعوب الأجزاء المتحررة ، بحكم المصير المشترك وبحكم أن الحرية لا يمكن أن تستقر آمنة بطريق التجزئة .

هذا فضلاً عن أن حركة التحرر العربى ترتبط ارتباطاً عضوياً وثيقاً بحركة التحرر الأفريقى . إن ٧٢٪ من أراضي الوطن العربى أفريقية ، وبالتالي فمصيرها جزء لا يتجزأ من مصير هذه القارة . ولهذا تمارس الأجزاء المتحررة من الوطن العربى بوعى ، مسئولياتها المباشرة وغير المباشرة ، المادية والمعنوية ،

بالنسبة لجميع حركات التحرر العربية والأفريقية المعاصرة . ولا يمكن القول إذن بأن البلاد العربية قد تحررت نهائياً من الاستعمار والسيطرة الغربية .

ثانياً : إن طابع الانضباط والحكم القيادي الفردي الذي يتحدث عنه « رسل » ملاحظاً إياه من خلال فهمه لظروف حركات التحرر الوطني ، يجب أن يقيم من خلال تحليل موضوعي لهدف ومضمون هذا الطابع الاجتماعي . بمعنى هل هو منضبط قيادياً لصالح دكتاتورية شخصية أو لصالح فئة اجتماعية رجعية مستغلة ، أم هو تعبير حتمي — بحكم الظروف — عن قيادة ثورية منتخبة ممثلة للقوى الاجتماعية العاملة الأكثر تقدماً في مجتمعتها ، والتي تمارس في الواقع ثورة قومية تحررية واجتماعية تقدمية في نفس الوقت . وبالتالي فالفرد القائد هنا يلعب بالضرورة والحتم دوراً تقديمياً في تاريخ التطور العام ، مخالفاً ومناقضاً لدور الفرد الدكتاتوري البرجوازي المعادي لحركة التقدم محلياً وعالمياً على السواء . وبدون هذا التمييز تقع في التجريد الذي يخلط الملح بالسكر لمجرد التشابه الشكلي بينهما ، فلا نستطيع أن نفرق جذرياً مثلاً بين دور رجل كسالازار مثلاً في البرتغال ، وتشومبي في الكونجو . . وبين رجال مثل عبد الناصر

وسيكوتورى وهوديبوكيتا ؛ فى كل من مصر وغينيا ومالى .

إن هؤلاء الرجال الآخرين - وإن تصدرت شخصياتهم فى مقدمة شعوبهم ، بحكم الظروف التاريخية ومركزية القيادة الضرورية فى مراحل الانتقال الثورية المعقدة الصعبة ، إلا أنهم فى الحقيقة نتاج ديمقراطى لنضال القوى الشعبية فى بلادهم ضد الاستعمار والاستغلال . ومن هنا فهم يمثلون فى وقت واحد ديمقراطية قوى الشعب العاملة من ناحية ، ودكتاتورية هذا الشعب من ناحية أخرى ضد الطبقات الرجعية المستغلة والمرتبطة بالمصالح الاستعمارية . وفى هذا المجال تمارس الحرية والديموقراطية من جانب القوى الشعبية فى إطارها الاجتماعى الثورى ، وبأساليب النقد والنقد الذاتى الشامل لكل نواحي المجتمع .

ولعل فى المناقشات الرحبة والصراعات الفكرية الحية التى يشهدها اليوم مجتمع كالمجتمع المصرى أو المجتمع الجزائرى ، ويسهم فيها إيجابياً العمال والفلاحون والمثقفون والبورجوازية الوطنية حول بناء التنظيم السياسى والمجتمع الاشتراكى ووسائل ممارسة الديمقراطية من أوسع نطاق وأوجه التفاعل الإيجابى مع حركات التحرير الوطنى والسلام العالمى . . ما يؤكد « لرسل » ؛ المناخ الصحى الديمقراطى لهذه المجتمعات .

فالمسئولية الفردية التقدمية المتفاعلة مع خط التطور ،
لا تنفى ولا تتعارض مع القيادة الجماعية والديمقراطية الحقيقية
بل تدعمها . وليس من شك فى أن حركة السلم التى يقودها رسل
قد اكتسبت — بهذا المفهوم — جزءاً هاماً من قيمتها بانتسابها
إلى جهود وشخصية المفكر العظيم .

ولذلك حرصت على أن تطلق على نفسها اسم « مؤسسة —
برتراند رسل للسلام » . وليس لهذا من معنى إلا تفاعل المسئولية
الفردية لرسل مع القيادة الجماعية والتنظيم الجماهيرى للمؤسسة .
ومن هنا كان الطابع الفردى لهذه المؤسسة طابعاً تقديمياً .

ثالثاً : إننا نؤمن مع رسل بضرورة حل كل الخلافات
القائمة بين الدول فى عالمنا المعاصر بالطرق السلمية . ولكننا
فى نفس الوقت نؤمن بأنه من البديهي والطبيعى أن نخرج تماماً
من نطاق هذه « الخلافات » ، الصراع الثورى بين الشعوب
المستعمرة والمغتصبة أراضيها وبين القوى الاستعمارية والقواعد
العدوانية تحت أية صورة أو شكل . وبدون هذا التمييز فإننا
نتورط — كما لا يخفى — من أن إضفاء الشرعية على الاستعمار
وقواعده ، منبع الحرب والعدوان .

وبعد . . . فإننا نرحب بخطاب راسل المفتوح ، ونشاركه

بعمق الإحساس بمسئوليتنا الإنسانية — المادية والمعنوية — في العمل المشترك من أجل تجنب الحرب . وتنمية الموارد من أجل الأهداف البناءة للسلام العالمى ، والإنسان حر ، آمن ، غير مستغل فوق كل أرض وتحت كل سماء دون ما تمييز أو تفریق لونى أو عنصرى أو دينى .
 « لطفى الحولى » الطليعة

* * *

الخطاب المفتوح الثانى من « رسل » إلى الأصدقاء العرب

دعا المفكر والفيلسوف البريطانى « براند رسل » داعية السلام العظيم المعاصر ، « لطفى الحولى » رئيس تحرير « الطليعة » لقضاء عطلة نهاية الأسبوع الثانى من شهر سبتمبر الماضى معه فى بيته الريفى الصغير الكائن بقرية بنرهنديث بمقاطعة ويلز بريطانيا والمطل على بحر الشمال .

وقد أتيح للطفى الحولى خلال هذا اللقاء أن يجرى مناقشات مثمرة مع المفكر الكبير حول كثير من قضايا السلام والساعة . وأن يستفيد من كل دقيقة قضاها فى رحاب هذا العقل المضيء والذى يختزن خبرة ٩٣ عاماً متصلة علماً وجهاداً .

وفى هذا اللقاء تحدث « رسل » عن قضية الديمقراطية فى العالم . وكيف أنها ما برحت على الرغم من كل التقدم المادى

والمعنوى الذى أحرزہ الإنسان سؤالاً يبحث عن جواب فى مختلف المجتمعات والنظم بدرجات متفاوتة . وأكد ثقته فى أن تجارب المجتمعات النامية الجديدة مثل التجربة المصرية قادرة بجرأتها وجديتها وفتوتها ، أن تجسد عملياً إجابات أكثر إنسانية على سؤال الديمقراطية .

وقال « رسل » إنه يتجه إلى هذا الرأى من خلال تجربتين له مع كل من مصر وأمريكا . فقد حدث أن بعث إلى « الطليعة » بخطاب مفتوح إلى المثقفين العرب تضمن نقداً لبعض أوجه الحياة العربية المعاصرة ، فنشرته « الطليعة » بترحاب كامل ، وأدارت معه حواراً علمياً ديمقراطياً^(١) .

أما فى أمريكا فقد حدث أن طلب منه بعض الناشرين الأمريكيين مقالا عن « بروز سياسة العنف الأمريكية » وذلك خلال حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية التى دارت بين كل من جونسون وجولد ووتر . وبعث لهم بالمقال ولكنهم ما إن اطلعوا عليه حتى اعتذروا عن نشره رغم أنهم هم الذين طلبوه . واعتقد راسل فى بداية الأمر أن هؤلاء الناشرين يخالفون رأيه وأن هذا سر الامتناع عن النشر . ولكنه فوجئ فيما بعد بأن كل

(١) نشر خطاب رسل المفتوح وتعليق الطليعة بالعدد الرابع (أبريل ١٩٦٥) .

الصحف الأمريكية امتنعت عن نشر المقال . وكان واضحاً أن هناك تعليمات وأوامر عامة بعدم النشر . وهكذا لم ير المقال حتى اليوم النور وأصبح مشهوراً باسم « مقال رسل الممنوع »^(١)

خطاب رسل إلى الأصدقاء العرب

كتب هذا المقال قبل إجراء انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة التي جاءت بالرئيس « جونسون » إلى السلطة . إن الازدياد السريع للعنف القوضي داخل الولايات المتحدة يسير جنبا إلى جنب مع التوسع في العدوان العنيف باعتباره سياسة قومية ينتهجها أولئك الذين يحكمون أمريكا الآن . ورغم أن هذا المقال قد كتب بناء على طلب صحف أمريكية ، إلا أنها رفضت نشره عندما اطلعت على محتواه .

لقد أثبتت الحوادث صحة جوانب معينة في هذا المقال ، فقد اتخذ الرئيس « جونسون » جميع أوجه سياسات خصمه ، وأظهر أنه يتبع — في الأساس — نفس أهدافها ويمثل نفس القوى التي مثلها السناتور « جولدووتر » منافسه السياسي اسما . وتؤكد هذه الحقيقة أن سياسات وأهداف المجموعة الحاكمة في

(١) أي حتى نشره مع خطاب رسل الثاني في الطليعة — العدد الحادي عشر (نوفمبر ١٩٦٥) .

أمريكا لا ولن ترضى بتنازلات أو تقبل المهادنة ، وأنها يمكن أن تنتهي فحسب عندما تهزم هذه المجموعة وتقصى عن السلطة . إن سلام العالم وسعادة الشعوب يتوقفان على تحقيق ذلك . وإني لأعلم أن هذه الأفكار ستجد استجابة فكرية وقلبية من الشعب العربي لأنه جرب القهر الشديد الصارم للإمبريالية الأمريكية واستغلالها وعنقها .

هناك نقطة واحدة أود توضيحها بطريقة لا يتطرق إليها الخطأ ، هي أن الشعب الأمريكي — في مجموعه — لا يعد مسئولا تماماً عن جرائم أولئك الذين يحكمونه ، لأن الشعب الأمريكي هو أيضاً ضحية لحكامه . لقد أظهر كثير من الأمريكيين شجاعة عظيمة في معارضة سياسة الولايات المتحدة في فيتنام . وعندما حاولت الولايات المتحدة أن تهين كرامة الشعب المصري ، بالإيحاء بأن سياسة الجمهورية العربية المتحدة يجب أن تتغير إذا ما أريد استمرار المعونة الأمريكية ، انضم كثير من الأمريكيين إلى الشعب المصري في إدانته وازدراؤه لمحاولة الابتزاز هذه . وفي الوقت الحالى ، تقوم وكالة المخابرات المركزية بضغوط كبير وبالتآمر على الرئيس ناصر والشعب المصري وإنجازاته الثورية وأمانيه : وينبغي أن نتذكر ، ولا ننسى بسهولة أن

ميزانية وكالة المخابرات المركزية تبلغ خمسة عشر ضعف مجموع ميزانيات كل النشاط الدبلوماسي لحكومة الولايات المتحدة . ولا يوجد بلد واحد لم تشتر فيه وكالة المخابرات المركزية أقساماً من الجيش والبوليس ورجال السلك المدني ، ولم تدبر فيه الخطة لاغتيال الشخصيات الوطنية المرموقة . هذا هو السجل الذي تفخر به وكالة المخابرات المركزية نفسها ، والوثائق التي تثبت عمل هذه العصابة من القتلة المنظمين معروفة جيداً . لقد تابعنا باهتمام ، مؤامرات وكالة المخابرات المركزية ضد شعب مصر والتي كشف عنها أخيراً ، ولقد تحدثت عبد الناصر باسم الأمة العربية فكشف النقاب عن هذه المؤامرات وهزيمتها ، وينبغي علينا أن نعمل بلا كلل لنرى إنجازات وآمال الشعب المصري والأمة العربية وقد تحققت .

وإني لمغتبط أن دعيتي « الطليعة » - المجلة الاشتراكية الرائدة في العالم العربي وأفريقيا - التي تصدر بالجمهورية العربية المتحدة إلى المشاركة في تحريرها بهذا المقال وذلك من خلال المناقشات القيمة التي دارت بين رئيس تحريرها السيد لطفي الحولي وبنى في منزلي بويلز ، وعلى صفحات « الطليعة » نشر من قبل خطابي المفتوح إلى المثقفين العرب الذي بدأ من

خلاله حوار حول المسائل التي ينبغي عملها من أجل سلام العالم والديمقراطية والتقدم الاجتماعي . وإني أرحب بالحرية الكاملة التي التزمها الطبيعة في تبادل الرأي ، وهي ظاهرة مشجعة . وإني لمبتهج أن أتاحت لي هذه الفرصة لأعبر عن تقديري وإعجابي بالدور الحيوي الذي تقوم به « الطبيعة » فهي ترتقي إلى مستوى اسمها فيما يتعلق بالمهمة التي وضعتها نصب عينها ، مهمة المساهمة الإيجابية في التوعية الشعبية لتحقيق الإنجازات الجهورية لأمانى الشعب المصرى الوطنية عبر الاشتراكية . « فالطبيعة » قد أخذت على عاتقها تلك الرسالة الهامة القائمة على بحث المشاكل الواقعية التي تواجه شعب مصر اليوم ، وتواجه كل المهتمين بتطور الأفكار الاشتراكية والأهداف الدولية التي برزت على صفحاتها .

لقد انتقدت في خطابى السابق جوانب معينة في الحياة السياسية المصرية وفي الثورة العربية . وقد نشرت هذه الانتقادات بحرية وبلا تردد . والمقال التالى ينتقد بعض الجوانب الهامة في الحياة الأمريكية . وقد رفض نشره في الولايات المتحدة من عديد من كبريات الصحف . إن الولايات المتحدة تدعى الإيمان بالديمقراطية وحرية التعبير ، لكنها تتخذ في الحقيقة

خطوات لمنع كليهما . وإن الترحيب الذي قابلت به « الطليعة » تعليقاتي النقدية هو بالنسبة لى واحد من أكثر التطورات المشجعة فى الصورة العربية . « برتراند رسل »

* * *

بروز سياسة العنف الأمريكية

برتراند رسل

تزايد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، سياسة العنف غير المشروع فى مناطق متعددة من العالم . لقد وضعت هزيمة النازيين حداً لتفوقهم فى هذا المجال ، إلا أن أعمالهم الشريرة لم تنته بعد ، فقد انتشرت روح العنف فى بلاد أخرى وخاصة فى أمريكا التى جسمت خطر الشيوعية ، وصورتها كشر يبلغ فى ضراوته حداً يبرر معه شرعية الأساليب المتخذة للتصدي لها . وفى الوقت الذى تهم فيه أمريكا ، الشيوعيين بالرغبة فى السيطرة على العالم ، تحاول أمريكا نفسها — تحت ستار هذا الشعار — أن تفعل بالدقة نفس الشئ الذى تهم به أعداءها . والأساليب التى تنتهجها أمريكا فى هذا الصدد ، ليست معروفة تماماً للرجل الأمريكى العادى . ويعزى هذا — من جهة — إلى سياسة إخفاء الحقائق عنه عن عمد ، كما يعزى من جهة

أخرى إلى تفور المواطنين المسالين من التعرف على الأعمال القادرة
الى ترتكب باسمهم .

ولسوف أتناول شروطهم من زوايا أربع : الأولى عن
الحرب في فيتنام الجنوبية . والثانية عن سياسة العنف داخل
الولايات المتحدة . والثالثة عن اغتيال كيندى . والرابعة عن
تهديدات جولد ووتر .

١

الحرب في فيتنام الجنوبية

كانت فيتنام الجنوبية — حتى نهاية الحرب العالمية الثانية
— جزءاً من الهند الصينية الفرنسية . لكن الحركة الوطنية
أشعلت ثورة عامة في كل أنحاء الهند الصينية ، وأنزلت بفرنسا
هزيمة ساحقة في ديان بيان فو عام ١٩٥٤ ، وقام مؤتمر جنيف
بتقسيم المنطقة إلى عدة دول مستقلة جديدة . وتم تقسيم
فيتنام — مؤقتاً — إلى جزأين : الشمال والجنوب . وكان مقرراً أن
يتحد الشطران بعد إجراء انتخابات عامة في وقت قريب .
وفي ختام مؤتمر جنيف صرح و . بيديل سميث باسم الولايات
المتحدة قائلاً : « إننا قد أبلغنا بنصوص الاتفاقيات والفقرات من

١ إلى ١٢ التى تضمنها البيان النهائى .. ولسوف تمتنع الولايات المتحدة عن استخدام القوة أو التهديد بها . . ولسوف ترقب الولايات المتحدة أى تجديد لاستخدام القوة باهتمام بالغ « باعتباره خرقاً للاتفاقيات » وتهديداً للسلام والأمن الدولى .

وتولت السلطة فى فيتنام الجنوبية حكومة رجعية تعتمد على المساندة الأجنبية . وتدفقت منذ ذلك الوقت القوات الأمريكية على فيتنام الجنوبية لمساندة حكم الدكتاتور نجو دينه ديم الذى ارتكب — بمساندة أمريكا — سلسلة من الفظائع التى أدت إلى وقوع تمرد ضده وتخلت أمريكا عنه ، وعلى أية حال لم تكن الحكومة الجديدة — التى كانت لعبة فى يد أمريكا — بأقل سوءاً من حكومة ديم . فمنذ وصولها إلى السلطة اقترفت بدورها — بمساعدة أمريكا العسكرية أيضاً — سلسلة من الجرائم التى لا تكاد تجد مثيلاً لها فى العصر الحديث . إن الفظائع التى ارتكبت فى فيتنام الجنوبية خلال السنوات الماضية وفى ظل حكومتى فيتنام الجنوبية — والذى تم بتدبير ومساعدة أمريكا والضباط والجنود الأمريكين — يحتاج سردها إلى مساحة تزيد كثيراً على المتاحة لى فى هذا المجال .

لقد لاقت حكومة فيتنام الجنوبية ، استنكار ومقت الفلاحين

الذين يمثلون غالبية السكان، وكان الفلاحون ينضمون - كلما أمكنهم ذلك - إلى قوات حرب العصابات المعروفة بالقيت كونج . وللحد من هذا التيار الجارف من جانب الفلاحين ، نقلت نسب كبيرة منهم من بيوتهم ليسجنوا فيما يسمى «بالقرى الاستراتيجية» . وفي هذه القرى أرغموا على العمل الإجباري تحت إشراف ثلثمائة ألف جندي من البوليس السري . كما تشن قوات الحكومة هجمات بربرية على القرى ، بالأسلحة والمساعدات الأمريكية . وتقرّف هذه القوات - التي يقودها أمريكيون - فظائع مرعبة .

ومعظم سكان فيتنام الجنوبية من البوذيين - ومما جاء في بحث أخير أعده ستيشي ثين هاو - أحد زعماء الطائفة البوذية - أن الحكومة قد أبادت ١٦٠ ألف فلاح حتى منتصف عام ١٩٦٣ . كما عذب وتسبب في عجز ٧٠٠ ألف آخرين . وألقي في السجن ٤٠٠ ألف واغتصب ٣١ ألف امرأة . وانتزعت أمعاء وأكباد ٣ آلاف وهم أحياء . كما أحرق ٤ آلاف من الأحياء . ودمر ألف معبد . وأغبر فيما بين يناير ومارس عام ١٩٦٤ على ٤٦ قرية استخدمت فيها الغازات السامة .

وتتطابق هذه الأرقام التي وردت أيضاً في تقرير جبهة

التحرر الوطني ، مع ما جاء في تقارير كل من جمعية الصليب الأحمر الحرة في فيتنام الجنوبية واتحاد نساء فيتنام الجنوبية والحزب الديمقراطي الفيتنامي . كما جاء في تقرير اتحاد العلماء الأمريكيين أن الولايات المتحدة تستخدم الغازات السامة في جنوب فيتنام وتتخذ من هذه البلاد حقل تجارب لاختبار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية . كما جاء في تقرير نشرته مجلة لوك (في ٢٥ ديسمبر ١٩٦٣) ومجلة ترو « الحقيقة » (في ديسمبر ١٩٦٣) - وهما مجلتان لا تعارضان السياسة الأمريكية بشكل عام - إن قوات حكومة فيتنام الجنوبية تستخدم رصاص دمد المحرم استخداماً دولياً باعتباره سلاحاً برياً . ولقد جاء في تقرير لمراسل مجلة ترو : « لقد شاهدت أحد الذين أصيبوا برصاص دمد في ذراعه . فبمجرد ما أصابت ذراعه لف الرجل حول نفسه ثم تطاير ذراعه أشلاء . ورأيت شخصاً آخر أصابته رصاصة في ظهره فأطاحت بقلبه خارج جسمه ليتدلى منه بالفعل . وشاهدت آخر أصيب برصاصة في عجزه ، فلم يعش أكثر من خمس دقائق أما البعض الآخر فقد مات على التو . وكان من الممكن أن تصبح إصابات كل هؤلاء سطحية لو استخدم رصاص من نوع آخر » .

وفي تقرير للحزب الديمقراطي الفيتنامي المعروف بعدائه للشيوعية - حيث جعل شعاره « من أجل هزيمة الشيوعية ولصالح الأحرار في كل مكان » - يقول التقرير : « لنفرض أن الغرض من تحصين القرى هو منع الفيت كونج من دخولها . لكن السلك الشائك يمنع الخروج منها ، بالضبط كما يمنع الدخول . ويُجبر الفلاحون الفيتناميون بقوة السلاح على دخول المعسكرات التي تعد من الوجهة العملية معسكرات اعتقال . كما تحرق بيوتهم وممتلكاتهم ومحاصيلهم . واقتيد سبع من القرويين في إقليم كين تيونج إلى الميدان وأبقرت بطونهم وأخرجت أكبادهم لتعرض على المارة . وكان جميع هؤلاء الضحايا من النساء والأطفال . وقطعت رعوس اثنتي عشرة امرأة أمام أعين المواطنين في قرية أخرى . كما قامت قوات الحكومة في بعض القرى الأخرى ، بدعوة الحوامل إلى الميدان لتكرمهن ؛ إلا أنها قامت بتمزيق بطونهن وانتزاع الأجنة التي لم تر الحياة بعد » وكم يبدو مثيراً أن نعرف أن هذا التقرير قد نشر في إحدى صحف ولاية دالاس الأمريكية . وهي صحيفة دالاس مورنينج نيوز في أول يناير عام ١٩٦٣ .

لقد كان هناك اتجاه يحظر نشر مثل هذه الحوادث .

وفي ٥ مايو من عام ١٩٦٤ ، أعلنت الأسوشيتد برس « أن هناك وثيقة خطيرة جداً ومثيرة بين أيدي أعضاء إحدى اللجان الفرعية بمجلس النواب ، أدت بإدارة التوجيه لأن تضع القيود على حركة مراسلي الصحف الذين يقومون بتغطية أخبار الحرب في فيتنام الجنوبية . وتقضى هذه القيود : ١ - بإبعاد المراسلين عن المناطق التي تدير القوات الأمريكية الحرب فيها بشكل كامل أو شبه كامل . ٢ - إبعاد المراسلين عن أى منطقة يتوقع - بناء على تطور الأحداث فيها - فشل إمكانية الاحتفاظ بالولاء الكامل لشعب فيتنام الجنوبية . »

إن الأحداث السابقة - رغم فظاعتها - تعد مجرد عينة صغيرة لأحداث كثيرة مماثلة . إنها تعطينا صورة عن نوع الحرب التي تشنها الولايات المتحدة في فيتنام الجنوبية . تلك الحرب التي يمكن أن تتكرر في أية منطقة أخرى من آسيا ، والتي يبدو أنها تتبع بالفعل في الكونجو . إن كل أمريكي لا يعلن احتجاجه على هذه الحرب ، إنما يتحمل وزر هذه الأعمال البربرية . تماماً كما يحمل الرجل الألماني العادي وزر جرائم أوسترليتز . والأمر الذي يجعل من استمرار الحرب في فيتنام أكثر ماثراً للدهشة والفرع ، هو أن الطريق لإنهاء هذه الحرب واضح ،

والأمر لا يتطلب أكثر من تذكر اتفاقية جنيف والسماح لهذه المنطقة المعذبة أن تحظى بما تريد - أعني بالحياة . لقد دعت عدة دوائر لها تفوذها ، إلى اتباع هذه السياسة ولكن دون جدوى . إنه لمن الصعب علينا أن نقاوم الاعتقاد بأن هؤلاء الذين يأمرون بارتكاب هذه الفظائع في فيتنام وأولئك الذين يقومون بتنفيذها ، يستمتعون بتلك الجرائم ، يدانون بارتكابها . ومن بين هؤلاء الذين يأمرون بهذه الفظائع ، مسئولون أمريكيون يتدرجون حتى رئيس الولايات المتحدة نفسه .

٢

العنف داخل أمريكا

لقد امتدت سياسة العنف الأمريكية ، لتعكس على حياة الأفراد وخاصة في الجزء الغربي من الولايات المتحدة . ويتضح من تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالى الذى نشر حديثاً في (صحيفة إيفننج ستاندارد في ٢٠ يوليو عام ١٩٦٤) ، أن جريمة قتل ترتكب كل ساعة في أمريكا ، وفي كل ٣٢ دقيقة تقع جريمة اغتصاب .

لقد نمت عادة عدم احترام القانون في أمريكا خلال الصراع مع الهنود والزواج وخلال الثورة الأمريكية والحرب الأهلية والحرب ضد المكسيك وخلال غزو الغرب . وإلى حد كبير بسبب التدفق المستمر للمهاجرين من غير الأمريكيين على الولايات المتحدة والذين لم يندمجوا بعد في المجتمع الأمريكي . هذا بالإضافة إلى عدد من الأسباب الأخرى الأقل أهمية .

إن سياسة التمييز بين الزوج والبيض . لمن أكثر المشاكل القائمة في الولايات المتحدة خطورة وتفجراً وأكثرها استعصاء على الحل . وعلى أية حال لن أكتب الكثير عن هذا الموضوع ، فهو معروف جيداً في أمريكا كما أن الاهتمام به شائع في كل مكان . ويبدو لي أنه من الأفضل أن أركز في هذا الحيز المحدود ، على بعض المخاطر والفظائع التي تبدو غير معروفة على نطاق واسع .

حتى وقت قريب في بعض الولايات الجنوبية بأمريكا ، كان الرجل الأبيض يستطيع أن يطلق النار على زنجي ، دون أن يعتبر هذا الفعل جريمة قتل . وكان الرجل الأبيض يفلت من العقاب على الأرجح . إلا أن هذا الواقع يتغير اليوم تحت تأثير ثورة الزواج . فقد تفجرت اضطرابات هارلم على أثر مقتل

صبي زنجي على يدي رجل بوليس أبيض . وأيضاً كان ما يقول به القانون ، فالواقع أن الزوج في أنحاء كثيرة من البلاد يعتبرون خارجين على القانون من الوجهة العملية ، إن لم يكن من الوجهة النظرية . ولقد صار شعور الاستهتار بحياة الزوج - وحتى بحياة البيض - شائعاً في غرب أمريكا منذ بدأ تعميره . بل إن المحاكم نفسها لا تبدى احتراماً كبيراً للعدالة على نحو ما كان ينتظر منها . ومنذ حكم آدمز ثاني رؤساء الولايات المتحدة تنابعت على البلاد موجات من انتهاك القوانين .

فقد أعدم ساكو وفانزيتي في عصرنا هذا ، على الرغم من أن براءتها كانت واضحة . كما حكم على سوبل بالسجن لمدة ٣٠ عاماً ، لمجرد أنه كان صديقاً لأسرة روزنبرج . وكان الدليل الوحيد ضده ، ذلك الذي قدمه شاهد زور محترف ، لم يقدم للمحاكمة قط . وقد أعلنت الدائرة الثانية لمحكمة الاستئناف في ٦ فبراير عام ١٩٦٣ ، أن من حق سوبل إعادة محاكمته ولكنها رفضت إعادة بدعوى أنه تأخر في طلبه فسقط حقه في إعادة المحاكمة . وقالت المحكمة إن المحاكمة الأصلية كانت غير عادلة ؛ ولكن فات أوان إعادة النظر في محاكمته بعد أن قضى ١٣ عاماً

في السجن - قضى معظمهم في سجن الكاتراز * . (من مذكرات لجنة النظر في قضية سوبل - ١٩٦٣) . ولا يزال سوبل سجيناً حتى هذه اللحظة .

ومن الأفكار السائدة في أمريكا ، أنه إذا كان المرء شيوعياً فلا حقوق له . ومن ثم يحق للمحاكم أن تدينه بأية جريمة تراءى لها . وهكذا تتخذ الخرافة السائدة عن الحرية الأمريكية أشكالاً بشعة ومنفرة . ولنأخذ على سبيل المثال قضية مقاومة قانون التعبئة العسكرية التي اتهم فيها رسل جودارد الذي قبض عليه في ٦ يوليو ١٩٦٤ في سانت لويس . فقد قال القاضي روى و . هاربر الذي حاكم جودارد ، عند النطق بالحكم : « إنني سعيد لأنني أعيش في بلاد يستطيع أى إنسان فيها أن يتخذ الموقف الذى اتخذه . إنك تتمتع هنا بحرية التعبير عن رأيك بسبب الدماء والعرق والجهد والدموع التى بذلها الملايين » . وبعد أن ألقى القاضي بخطبته البصماء عن الحرية الأمريكية حكم على ضحيته بالسجن لمدة خمس سنوات . ولا شك أن القاضي هاربر لا يزال يعتقد أن أمريكا هي بلاد الحريات .

* أردا سجن في أمريكا . . ويعرف بأن من يدخله لا يخرج منه ، فيه يقضى المحكوم عليهم بمدد طويلة ، مدة عقوبتهم .

ويؤكد افتقاد الحريات في أمريكا ، الاعتقاد السائد هناك بأن الشيوعيين قوم بالغوا الخبث والشر . ويفترض في كل إنسان له آراء مخالفة للمألوف ، أنه شيوعي وأنه عدو للبشرية . ويتحمس الأمريكيون لهذا الاعتقاد ، كما لو كان عقيدة دينية أشبه بعقيدة العبرانيين في كتاب يهوذا ، حيث ذبحت جيل ، ساسيرا وهو نائم ، وترتب على فعلتها هذه أن اعتبرت بطلة قومية . وتنتشر مثل هذه الروح في أمريكا بسبب سياسة العداء للشيوعية . وقد كشف حادث اغتيال كيندى حقيقة أن الحصول على الأسلحة النارية في أمريكا ، عملية سهلة للغاية بصورة تثير الدهشة . لقد قدم السناتور دود . على أثر هذا الحادث ، مشروعاً بقانون يدعو للتشدد في شروط حمل السلاح بالنسبة للأفراد . ولكن دود صرح بعد ذلك أن مشروعه قد وُثِدَ على يد الجمعية القومية للأسلحة النارية .

وعلى ذلك ، ما زال الناس يموتون في أمريكا من أجل أن تمتلئ خزائن الجمعية القومية للأسلحة النارية . وطبقاً للقانون يستطيع أى إنسان في أمريكا ، الحصول على سلاح نارى بالبريد ونتيجة لهذا تتعدد حوادث إطلاق النار . (المصدر صحيفة جارديان في ١٤ أغسطس ١٩٦٤) .

ويبدو أن قيمة حياة الإنسان قد فقدت أهميتها في أمريكا. وربما لا نجد في ذلك ما يثير الدهشة ، إذ يربي الأطفال الأمريكيون في سن مبكرة للغاية ، على الإعجاب بالعنف كدليل على الشجاعة . واعتاد الأطفال أن ينظروا إلى رجال البوليس ورجال مكتب التحقيقات الفيدرالية والعسكرية – وكل من يحمل سلاحاً – باعتبارهم أبطالاً . ولا يعير الناس أى اهتمام للحوادث الخطيرة التى تقع نتيجة للعب بالأسلحة النارية . وترى سياسة « عبادة » العنف والقتال في أمريكا ، إلى جعل الأبطال أنفسهم مجانين تماماً .

ذكرت صحيفة تايمز اللندنية في عددها الصادر في ٢٢ يوليو ١٩٦٤ ، أن جندياً أمريكياً قد أطلق الرصاص على امرأة يابانية لأنها ضلت طريقها إلى أحد المعسكرات الأمريكية في طوكيو . وجاء في التايمز في عدد ٣٠ يوليو ١٩٦٤ «حُكم بالأمس جندي (٢٢ سنة) من سلاح الطيران الأمريكى ، أمام محكمة عسكرية أمريكية في القاعدة التابعة لأمريكا في ويندرس فيلد بمقاطعة إسكس ، وذلك بتهمة اللعب بسلاح ناري في محاولة لإظهار تفوقه في سرعة إطلاق النار . وحكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة ٦ أشهر . ولويدلا بارون (اسم الجندي) ، أحد

جنود الدرجة الثانية في البوليس الحربي سلاح الطيران وقد خفضت رتبته وخصم من راتبه ٢٠ دولاراً في الشهر لمدة ٦ أشهر. هذا ولم يصدق على الحكم بعده. وقد ذكر ل. ل. ريد، وهو من رجال سلاح الطيران، أنه قد ذهب في ٢١ أبريل إلى الموقع رقم ١٣ حيث كان لا بارون يقوم بنوبة خدمته، وقال ريد - وهو أيضاً من رجال البوليس الحربي سلاح الطيران - « كان لا بارون يجلس خلف مكتبه عندما دخلت. وقد بادرنى بالقول (دعنا نختبر مدى سرعتك في إطلاق النار) . وقفز من وراء مكتبه والتقط مسدسه فأسرعت بدوري بسحب مسدسي . وهنا انطلقت رصاصة » . لقد قال لا بارون إنه غير مذنب . ثم ذكر أنه كان يرد على مكالمة تليفونية في الموقع رقم ١٣ وأضاف « وبمجرد أن وضعت سماعة التليفون استدرت وقلت لريد : اسحب مسدسك فسحبه وأصابني بطلق منه » . واستطرد لا بارون أنه جرح في بطنه، وأن مسدسه كان على المكتب بقدر ما يستطيع أن يتذكر، إذ أنه لا يحمله أثناء قيامه بتنظيف الموقع . وهناك حقائق كثيرة عن تنظيمات معسكرات القواعد الأمريكية في بريطانيا - وغيرها من البلاد دون شك - والتي تجعل شعارها « السلام هدف لنا » إلا أن إلامنا بهذه الحقائق

قاصر إلى حد بعيد . وكانت مجلة نيوسيتيسمان قد نشرت مقالا لي في ١٧ فبراير ١٩٦١ ، ولست في حل من ذكر مصدر المعلومات التي جاءت بالمقال فقد وصلتني هذه الحقائق عن طريق إنسان عاشها ونخالط آخرين عاشوا وقائع مماثلة لها . ومن الواضح أنه يصعب على أن أكشف عن أسمائهم . وكنت قد قلت في هذا المقال : هل هناك من يعلم أنه في كل قاعدة من القواعد الأمريكية في بريطانيا توجد نواة صلبة من الطيارين على درجة عالية من المران تمكنهم من أن يخلقوا في الجو خلال دقيقة أو دقيقتين من لحظة أن يصلهم فيها أى إنذار . وهذه المجموعة تعيش في عزلة تامة عن بقية أعضاء القاعدة ، ولا يسمح لأحد بأن يختلط بهم أو يرتاد موقعهم إذ أن لهم أماكن خاصة لتناول الطعام والنوم والمكثبات والسينما إلخ . . وهناك أيضاً حراس مسلحون يحولون بين الجنود الأمريكيين الآخرين في القاعدة وبين الوصول إلى هذه الأماكن الخاصة . ويعود كل فرد من هذه المجموعة — بما في ذلك قائدهم إلى أمريكا كل شهر أو شهرين ليحل محلهم مجموعة أخرى . ويكاد ألا يسمح لأفراد هذه المجموعة بأى اتصال بباقي الأمريكيين في القاعدة ولا بأى فرد من سكان المناطق المجاورة لهذه القواعد . ويبدو

بوضوح أن الهدف من هذه الإجراءات ، يرمى إلى إخفاء أمر وجود هذه الجماعة عن البريطانيين . كما تهدف أيضاً إلى الحفاظ على طبيعة ردود الفعل الآلية للأوامر التي تصدر لهذه الجماعة والدعاية التي يعبثون بها . وذلك بالضبط ما يهدف إليه نظام التدريب المعد لهم . والأكثر من هذا أن الأوامر لا تصدر إلى هذه المجموعة من قيادتها المحلية ، وإنما من واشنطن مباشرة .

ترى كم منا يعرف أن الحكومة الأمريكية ، كانت تمد المدنيين — طوال السنوات الماضية وما تزال — بالسلاح والذخيرة ، وتدريبهم على استخدامها ؟ يقول ستانلى ما يزلر فى مقالة له بمجلة دى نيشن (الأمة) فى ٨ يونيو ١٩٦٤ : « فى نهاية عام ١٩٦٣ ، كان الجيش الأمريكى يقوم بتدريب ٣٨٤٩٥٠ مدنياً على إطلاق النار وإصابة الهدف . ويزيد هذا الرقم على ثلث القوات الأمريكية المسلحة كلها . كما أن نصف هؤلاء من الشبان الذين لم يبلغوا بعد الثامنة عشر من أعمارهم . وقد كلف هذا البرنامج ، الحكومة ٦٢٠ ألف دولار فى السنة المالية الأخيرة » . ويمضى المقال كاشفاً عن الحقائق المفزعة التالية التى سأورد هنا بعضاً منها فقط . « لقد وضع الجيش الأمريكى نحو نصف مليون بندقية مستعملة فى أيدي المدنيين ، خلال

السنوات الخمس الأخيرة . ويستطرد تقلا عن هنرى ب .
 جونز الز نائب دالاس بولاية تكساس ، من تصريحه فى
 مضبطة اجتماع الكونجرس الأمريكى يوم ٢٦ مايو ١٩٦٤ ،
 إن الحكومة الفيدرالية تؤيد وتساعد وتشجع قيام منظمة « الرجال
 الصغار » وهى منظمة من المتعصبين اليمينيين المعادين للشيوعية
 والمدرّبة على أساليب حرب العصابات وذلك من خلال برنامج
 تدريب المدنيين على إصابة الأهداف » وقد أورد جونز الز أيضاً ،
 فقرة من خطاب مفتوح بقلم : م . س . راىكا الابن ، مؤسس
 منظمة اتحاد بول ريفيز للحرس ، يحض فيها الأعضاء على
 الانضمام إلى الجمعية القومية للأسلحة الصغيرة وتخزين البنادق
 والرشاشات الخفيفة والمسدسات والالتحاق بمنظمة « الرجال
 الصغار » وكان راىكا يبرر مطالبته الأعضاء بالانضمام إلى
 الجمعية بقوله : إن الشيوعيين لن يستطيعوا قهر شعب مسلح .
 ويطلب راىكا بضرورة استمرار الجمعية القومية للأسلحة
 الصغيرة فى أداء رسالتها لكسب رأى العام غير المستنير والمعادى
 للتسلح إلى ضفتها .

وباختصار ، إن فى أمريكا اليوم جيوشاً خاصة مستقلة
 ذاتياً عن الجيش الأمريكى ، ومدججة بالسلاح حتى قمة

رأسها ، تقوم بمحاربة كل شخص يبدى أى ميل للاختلاف معها سياسياً . كما أن هناك منابر خاصة للدعاية مثل برنامج هـ. ل. هانت الإذاعي، والبرنامج المعروف باسم « خط الحياة » الذى يذاع من واشنطن ويصل إلى ٥ ملايين مستمع فى ٤٥ ولاية أمريكية . (المصدر مقال روبرت ج شيريل فى مجلة دى نيشن عدد ٢٤ فبراير ١٩٦٤) .

وتوجد فى أمريكا أيضاً ، جمعيات تتميز بخروجها عن القانون وأساليبه البالغة العنف فى نفس الوقت . مثل جمعية جون بيرش والكوكلوكس كلان . وهى - برغم ذلك - غير محظورة قانونياً وتتسم مواقفهم بوحشية لم يسبق لها مثيل فى أى مكان من العالم ، حتى فى حالة عزلها عن موقفهم من الزنوج .

لقد أدت هذه الظروف المتعددة إلى خلق طائفة من المواطنين الذين يسعدهم العبث بالأسلحة النارية ، يعجبون بالعنف وينظرون إلى المسألة كدليل على الجبن ، مما ينمى لديهم باطراد الشعور بالحقد والميل إلى العنف . وما لا يثير الدهشة ، أن بلاداً يسودها مثل هذا المناخ النفسى تنجب رجالاً يقتلون رئيس جمهوريتهم .

اغتيال كيندى

يتضح مما سبق ، أن أمريكا تعيش فى محيط تمزقه الخلافات والعنف ، وتمتلى "بجيوش خاصة تدعم اليمين فى الولايات المتحدة . ولا ينبغى لنا أن نندهش إذا أخذ العنف فى أمريكا طابعاً سياسياً . ورغم ذلك فقد ظلت أمريكا تتشبث بواجهة دستورية مما أصاب العالم بصدمة قاسية عند ما سمع نبأ اغتيال كيندى . لقد حاول بوليس مدينة دالاس ورجال المخابرات المركزية الأمريكية ، أن يلصقوا جريمة اغتيال كيندى بإنسان مغموز هو أوزوالد ، وسعوا إلى أن يحملوا العالم على الاعتقاد بأن أوزوالد كان يتصرف بمفرده ودون شركاء له ، كما حاولت كل الصحف أن تؤكد هذا الزعم . وكان من الممكن أن تنجح هذه الجهات فى غيرها ، لولا الجهد الحارق للعادة الذى قام به نفر قليل من الشخصيات الحريصة على المصالح العامة . وفى مقدمة هذه الشخصيات ، مارك لين ، وهو محام من نيويورك صاحب نظرة سياسية متحررة ، وإن كان أبعد ما يكون عن اليسار . لقد عين الرئيس جونسون هيئة ، عرفت باسم لجنة وارين ،

افترض أن تكون مهمتها وضع تقرير تفصيلي عن الظروف التي أحاطت باغتيال كيندى . وبعد أن انتهت اللجنة من وضع التقرير أخفى لمدة شهرين بقصد أن يتضمن التقرير تفصيلاً للحقائق التي جمعها مارك لين . إن التقرير لم ينشر بعد^(١) حتى كتابة هذه السطور . ولهذا فإننا لا نستطيع أن نتنبأ بالنغمة الأساسية التي ستسود اتجاهه . والكثيرون في أوروبا يؤيدون جهود مارك لين ، ففضح مثل هذه الأعمال الفجة غير القانونية - التي يبدو أن المسئولين في الحكومة يحاولون إخفاءها - أمر لا يقل أهمية بالنسبة لنا ، عنه بالنسبة للأمريكيين أنفسهم . وقد تعرض كثير من هؤلاء الأوربيين المؤيدين لجهود مارك لين ، لتهديدات من قبل السفارات الأمريكية في بلادهم المختلفة ، تنذرهم وعائلاتهم بعواقب وخيمة إذا استمروا في تأييد جهود مارك لين . وسرعان ما صدر تقرير مارك لين الذي وضح لكل من أقدم على قراءته ، أن سلطات مدينة دالاس قد نسجت سلسلة من الأكاذيب . كما أوضح أنه لا يوجد أي مبرر لافتراض أن أوزوالد مذنب . ولولا كانت الأمور قد تطورت في مجراها الطبيعي لظهرت هذه الحقائق أثناء محاكمة أوزوالد ولكن البوليس

(١) نشر التقرير بعد كتابة هذا المقال.

اكتشف طريقة سهلة للحيلولة دون الكشف عن هذه الحقائق .
 فقد أتاح الفرصة لشخص من صنائعه يدعى روبي ، وهو
 صاحب ملهى ليلي ، أن يدخل إلى فناء السجن في نفس الوقت
 الذي كان رجال البوليس يصطحبون فيه أوزوالد إلى المحكمة
 حيث أطلق روبي الرصاص على أوزوالد زاعماً أنه فعل ذلك
 بدافع من حميته الأخلاقية ضد جريمة اغتيال الرئيس كيندى .
 عندئذ تنفست سلطات البوليس الصعداء ، وواصلت أعمالها
 في تشويه ذكرى أوزوالد . ورغم ذلك كله ، فقد واصل أولئك
 الذين لم يقتنعوا باللائم الذي وجه لأوزوالد ، سعيهم للكشف عن
 الأكاذيب الرسمية . وقد نشرت نتائج بعض هذه الأبحاث في
 كتاب بقلم يواقيم جوستن تحت عنوان « أوزوالد . . قاتل
 أم ضحية ؟ » . (الناشر مارزاني ومنسل نيويورك عام ١٩٦٤) .
 وقد استقيت ما سأقوله عن جريمة اغتيال كيندى من هذا الكتاب
 بشكل أساسي .

لقد كان أوزوالد شخصاً مغموراً ، يعيش على هامش الحياة
 السياسية . وقد قضى فترة من حياته في روسيا مدعياً الشيوعية .
 وقد قيل بعد عودته إلى أمريكا ثانية ، إنه ذهب إلى روسيا
 كجاسوس للمخابرات الأمريكية ويبدو أن السلطات الأمريكية

قد تقبلت هذه الرواية . وقد قام بوليس مدينة دالاس باستجواب كل شخص ثارت حوله أية شبهات ، عندما أعلن عن زيارة كيندى للولاية . ولكن أوزوالد لم يكن من بين هؤلاء الذين استجوبوا . وكان أوزوالد يعمل في مبنى مخزن كبير للكتب بدالاس . ولم يكن الفضل في حصوله على هذا العمل يرجع إليه . ولم يكن من المقرر - عندما نشر خط سير موكب كيندى في مدينة دالاس - أن يمر الموكب بالقرب من مخزن الكتب . ولكن تغير خط سير الموكب في اللحظة الأخيرة حيث تقرر أن يمر الموكب - في جزء من خط سيره - في متناول مرمى بندقية بمخزن الكتب . وقد أعدت هذه الترتيبات بحيث يصبح ممكناً إلقاء التهمة بأوزوالد .

وعلى أية حال ، فقد شاب البيانات الرسمية التخطيط والاضطراب في المراحل التالية من التحقيق فهناك جدل كثير حول المصدر الذي أطلقت منه الرصاصة ، وعما إذا كانت الإصابة القاتلة ، قد أحدثتها رصاصة أطلقت من الأمام أم من الخلف وقد توصل جوستن من دراسته للقضية إلى أن رصاصات ثلاثة أو أربعة قد أطلقت على كيندى . ولو افترضنا أن الرصاصات جميعها قد أطلقت من مخزن الكتب ، فينبغي

أن تبلغ - في تقديره - أربعة . أما إذا كانت ثلاثة ، فمعنى ذلك أن إحدى هذه الرصاصات ، لابد أن تكون قد أطلقت من مكان أكثر قرباً إلى موكب كيندى . ويرجع غموض هذا الاستنتاج إلى حقيقة أن التقارير الطبية عن إصابة كيندى لم تكن محددة . فقد قرر الأطباء الذين فحصوا الجثة بعد حادث الاغتيال مباشرة ، بالإجماع ، أن الرصاصة قد أطلقت من الأمام . إلا أنه عند ما نقلت الجثة إلى واشنطن ، تضمن التقرير الذى أعدته مصادر « موثوق بها » من أطباء واشنطن ، أن الطلقات جاءت من الخلف . ومنذ لحظة الاغتيال وبقية الرواية عبارة عن محاولة واضحة لتلفيق الأدلة والضغط على الشهود ليسلس قيادهم ومنعهم من الإفضاء بما شاهدوه أو عرفوه . ومن الأدلة الصارخة الجديرة بالملاحظة أن البوليس شريك فى جريمة اغتيال كيندى . الإذاعة التى وجهها عمدة مدينة دالاس ، قبل إطلاق الرصاص على كيندى بخمس دقائق . فقد قال : « لست أدري ماذا جرى » ثم أضاف موجهاً الحديث إلى مساعديه « احشدوا كل رجال البوليس الذين فى السجن وفى المكاتب ، واتجهوا إلى ساحة الخط الحديدى القادم من ألم ، بالقرب من الممر الثلاثى السفلى » .

أما كيف عرف العملة أن شيئاً مفزَعاً على وشك أن يحدث
فذلك ما لم يقدم أحد تفسيراً له . وعندما عرف نبأ إطلاق
الرصاص على الرئيس كيندى ، توجه رجال من البوليس إلى
مخزن الكتب وقاموا باستجواب كل الموجودين فيه باستثناء
أوزوالد . ولما قيل لهم إن أوزوالد يعمل في هذا المبنى ، سمحوا
له بالانصراف . وقد زعمت السلطات أن أوزوالد قد توجه بعد
ذلك إلى مكان ما في أطراف المدينة حيث قام بقتل رجل
بوليس يدعى تيببت . ولكن السلطات لم تقدم دليلاً على إدانة
أوزوالد في هذا الحادث أو تفسيراً لقيامه به . والواقع أن كل
الحقائق التي نعرفها ، تحملنا على الاعتقاد بأن أوزوالد لم
يقترف مثل هذا الحادث أيضاً . والأكثر غرابة من هذا كله ،
أن اتهم أوزوالد بأنه قاتل تيببت ، قد صدر في المدينة قبل أن
يتعرض تيببت لإطلاق الرصاص بحوالى نصف ساعة . إن
هناك أدلة أخرى تنحو إلى تبرئة أوزوالد من هذا كله . منها
على وجه الخصوص نتيجة اختبار البرافين الذي أثبت أن وجنة
أوزوالد لم تلامس كعب بندقية . ولو أن قضية أوزوالد قد
قدمت إلى المحاكمة فمن غير المعقول أن أية محكمة كانت
ستدينه . فالقضية في مجموعها واضحة ومقنعة تماماً .

وليس هناك ما يصعب تصديقه من القول بأن بوليس مدينة دالاس ومكتب التحقيقات الفيدرالية ، أو أجزاء منها ، ضالعان في جريمة اغتيال . فقد كان لكيندى أعداء أقوياء وخاصة في صناعة البترول . وكانت صحف مدينة دالاس قد عبرت عن عداؤها الميريل كيندى قبل وفاته بفترة قصيرة . وتعتبر المخابرات المركزية الأمريكية ومكتب التحقيقات الفيدرالى والأجهزة المماثلة نفسها فوق القانون . كما أنها تملك القدرة على التحكم في أعمال الحكومة المدنية . ولقد سمح لهذه الأجهزة أن تنمو بسبب الخوف المحموم من الشيوعية .

إن هناك خطراً حقيقياً يقول باحتمال قيام دكتاتورية فاشية في أمريكا .

٤

تهديد جولد ووتر

إن أمريكا — كما سبق أن رأينا — بلاد يخنمر فيها الاضطراب . وتقوم فيها عدد من الجيوش الخاصة التى تتكون كلها تقريباً من عناصر رجعية متطرفة . ونتيجة لهذا ، نجد أن الأمريكيين الذين لا يستمعون لنداء العقل ، مدججون بالسلاح

بينما لا يملكه المتعقلون الراشدون منهم . ولقد كان اغتيال كيندى أول نتائج هذا الواقع القائم بالفعل . أما النتيجة الثانية ، فتمثل في اختيار جولد ووتر كمرشح للحزب الجمهورى لرئاسة الجمهورية . ولا يستطيع أحد أن يتنبأ بما ستكون عليه سياسة جولد ووتر لو انتخب ، إلا أن الخطاب الذى ألقاه بنفسه في سان فرانسيسكو ليعان قبول ترشيحه لانتخابات الرئاسة ، هو خير تعبير عن سياسته . لقد رفض جولد ووتر في خطابه أية محاولة للوفاق مع الشيوعيين . لقد صرح أن العداء للشيوعية ، ينبغى أن يكون حجر الزاوية لسياسة الولايات المتحدة . مما يستتبع بالتالى انتهاج سياسة حافة الهاوية . ويعتقد جولد ووتر — أو يزعم أنه يعتقد — بأنه إذا تعرضت روسيا للتهديد بشكل دائم ، فلسوف تراجع وتستسلم في النهاية وبهذا يمكن — في اعتقاده — القضاء على الشيوعية ، دون ما حاجة إلى حرب عالمية . ويرى جولد ووتر أن قائد قوات حلف الأطلنطى ، يجب أن يتمتع بصلاحيات وحق استخدام الأسلحة النووية الأمريكية وقتما يشاء ، وذلك بدلا من رئيس الولايات المتحدة . إن القائد العام لحلف الأطلنطى أمريكى الجنسية ومن المحتمل أن يظل هذا المنصب في يد الأمريكين . ومن المتوقع أن يشغل أحد

أنصار جولد ووتر هذا المنصب في حالة فوزه . وإنه لمن الصعب أن نتنبأ مقدماً ما إذا كان جولد ووتر سينجح في انتخابات الرئاسة ، أم لا .

لقد تربى الرأي العام الأمريكي ، على أن يتقبل فكرة زائفة تماماً عن كل من الشيوعية وأمريكا نفسها . والاعتقاد الشائع لدى الأمريكيين ، أن بلادهم تقف في جبهة الحرية بينما تمثل الشيوعية الاستبداد المقيت للأقلية ، وكلا الاعتقادين زائف ، وإنه لمن الصعب على أمريكا أن تلعب دوراً رئيسياً في السياسة الدولية ، ما لم تتخل عن هاتين الفكرتين . وجولد ووتر يترجم الاتجاه غير الصادر عن العقل . وإذا فاز في الانتخابات ، فاحتمالات أن يكون المستقبل مظلماً قائمة . ويصدق نفس المصير ، لو خسر جولد ووتر الانتخابات شخصياً ، وتبنى منافسه نفس السياسة . إن الظواهر تدل - حتى الآن - على أن الاحتمال الأكبر ، هو نبذ جولد ووتر كرئيس للولايات المتحدة - وأن يتبنى منافسه سياسته ، وما يحدث في فيتنام الجنوبية أخيراً ، مصداق لهذا القول .

ورغم ما يزعمه جولد ووتر عن حبه للحرية ، فإن ذلك لا يحمله على تقبل الجهود التي تبذل بقصد تغيير الاتجاه

المتعصب لدى السواد الأعظم من سكان الولايات المتحدة فلقد
ساد خطابه في سان فرانسيسكو لهجة التعصب والغوغائية. وتنتشر
مثل هذه الحالة النفسية بسهولة حيث تصعب مقاومتها فيما بعد .
ما هي - إذن - النتائج المحتملة ، لو انتصرت سياسة
جولد ووتر ؟ إنه لمن الصعب أن نعتقد أن الدول الشيوعية
سوف ترضخ بهدوء للتهديدات الأمريكية والمزيد من الأعمال
الاستفزازية ، كحادث طائرة التجسس ٢ ، الذي وقع
أثناء مؤتمر القمة في باريس . أو كحادث الطائرة المماثلة
الأكثر خطورة والأقرب عهداً ، الذي وقع في ذروة أزمة
الكاربيبي . فمن الواضح أن مثل هذه التهديدات والأعمال
الاستفزازية لن تنهى ، إلا بانتهاء كل الحكومات الشيوعية . ولو
افترضنا أن خروشوف نفسه كان على استعداد لأن يرضخ
لمثل هذه التهديدات فإن أشباه جولد ووتر من الروس الذين
افترض وجود بعض منهم في روسيا ، سوف يسقطون خروشوف ،
ويصرون على انتهاء سياسة أكثر حدة وستكون النتيجة في هذه
الحالة حرباً نووية عالمية وتقويضاً للحضارة إن لم يكن فناء
البشرية نفسها . ولا شك أن مثل هذه الصورة للمستقبل ، لا
ترضى حلفاء أمريكا الأوربيين . فمن المتوقع أن تضع سياسة

جولد ووتر ، حدًا لوجود حلف شمال الأطلسي نفسه .
 ولو افترضنا نجاح سياسة جولد ووتر ، ورضوخ الدول
 الشيوعية لها ، فإن أولى النتائج التي ستترتب على ذلك هي سيطرة
 طغيان العسكرية الأمريكية على العالم كله باسم الحرية . ولن
 تستقر أسس هذا الطغيان طويلا . ولن يلبث أن ينهار ويتحول
 إلى فوضى خلال سنوات قلائل .

ولا بد أن تفرخ ظاهرة جولد ووتر ، أحد هذين الاحتمالين
 وكلاهما مفرع ، وكلاهما يلقى استنكار ومعارضة كل من لم
 تذهب بعقله الدعايات المعادية للشيوعية .

وأريكا تزعم أنها قائدة « العالم الحر » . ولكنها لا تستطيع
 أن تقوم بهذا الدور — بكفاءة — بسبب فزعها من الاشتراكية .
 ولنتأمل على سبيل المثال اضطرابات هارلم . فسوف يدعو
 منهج جولد ووتر للتسامح مع رجال البوليس البيض الذين
 أطلقوا الرصاص على الصبية الملونين باعتباره أولى الخطوات نحو
 الحرية . أما السياسة الأكثر تعقلا فهي تلك التي تدعو إلى
 إنفاق الأموال العامة لإزالة حي هارلم القديم وإقامة مساكن
 جديدة ملائمة لسكنى الزوج . ولكن فكرة كهذه تعد — في
 نظر الجولد ووترين — فكرة اشتراكية . إن التخطيط الذي

تقوم به المؤسسات الخاصة من أجل مصالحها يثير الإعجاب .
 أما التخطيط الحكومى لتحسين مستوى معيشة الفقراء المعدمين ،
 فيعد أيضاً عملاً اشتراكياً ، ومن ثم عملاً شريراً . ويعتقد
 هؤلاء ، أن نزع السلاح يجعل المشاكل الاقتصادية مستعصية
 على الحل . إن المنهج الاقتصادى الأمريكى ، منهج متخلف
 بما يساوى مائة عام . مما يحد من قدرة أمريكا على قيادة
 (العالم الحر) .

إن العلاج الوحيد لهذا الموقع ، يكمن فى تغيير أسلوب
 التفكير الأمريكى تغييراً جذرياً ، والعمل على خلق مناخ فكرى
 أمريكى جديد . وذلك عن طريق أجهزة الدعاية الرسمية وأجهزة
 الإعلانات ، وهى نفس الأجهزة التى ربت الشبان على روح
 الإعجاب بالذين يسفكون الدماء دون مبالاة ، وعلى ازدراء
 أولئك الذين تسفك دماؤهم ، هذه الأجهزة التى تصور رجل
 البوليس ، فى صورة الرجل الشجاع بينما تصور ضحيته كجبان .
 لقد كان ذلك كله جزءاً من الطريق نحو دولة بوليسية وأصبحت
 الدولة نفسها ضحية — ربما عن غير قصد — لمفاهيم مجموعة من
 المسلمات التى تروج لمنهج فكرى يقول بأنه لا يمكن القضاء على
 جميع الشرور ، إلا بإطلاق النار أو إحدى وسائل العنف

المماثلة . ورغم أن الولايات المتحدة ، مليئة بالكثيرين من علماء الاجتماع المتخصصين والذين يمكن أن تستفيد من نصائحهم في علاج كثير من هذه الشرور ، إلا أن الحكومة الأمريكية تضم آذانها عن هذه النصائح ، بل تستمر في تثقيف الشعب بصياغة مفاهيم معينة لتشويه الاشتراكية والشيوعية ، وتصور سجن خصومها على أنه دليل على (الحرية) .

إن أمريكا مريضة . ومرضها هذا يعرض العالم كله للخطر . وقوة هذه البلاد الجبارة ومواردها الضخمة تحتم ضرورة إيجاد علاج لمرضها . وأول ما تحتاج إليه أمريكا ، هو أن تعلم أبناءها أن التفوق لا يكمن في العنف وأنه لا بد من نبذ مشاعر الحقد والكراهية . إن تغيير وجهة النظر لمهمة عظمى ينبغي على الأمريكيين الراديكاليين أن يحاولوا الاضطلاع بها ولست أدري ما إذا كان لدى هؤلاء الراديكاليين ، روح الإقدام التي تتطلبها مثل هذه الضرورة أم لا . ولكننا نأمل أن يكونوا في مستوى الموقف .

ب - آراء « لسارتر » حول القضية الفلسطينية

خلال زيارته للجمهورية العربية المتحدة وغزة في فبراير

مارس عام ١٩٦٧

قام جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار بزيارة الجمهورية العربية المتحدة وقطاع غزة في الفترة من ٢٥ فبراير - ١٣ مارس عام ١٩٦٧ . وذلك بدعوة من الأهرام .

وخلال هذه الفترة عقدت لقاءات واسعة بين سارتر وبين جماهير الشعب العربي في مصر وغزة من مختلف القطاعات ، وكان في مقدمة القضايا التي نوقشت خلال هذه اللقاءات ، قضية فلسطين ، حيث أدلى سارتر فيها بآراء محددة سواء في غزة ، أو خلال لقائه مع أساتذة وطلبة وطالبات جامعة القاهرة^(١) .

من حوار سارتر مع الشعب الفلسطيني في غزة :

— شكراً لكم . . فيفضل معونتكم استطعت أن أرى الواقع

(١) نشرت الطليعة في عددها الصادر في أول أبريل ١٩٦٧ ملفاً خاصاً

يضم حوار سارتر وسيمون دي بوفوار مع العمال والفلاحين والمثقفين العرب في مصر وغزة.

الفلسطيني وأن أفهم جيداً ما يمكن أن يشعر به الرجال والنساء والأطفال الذين يعيشون في معسكرات بعيدين عن أرضهم ، وأن أفهم أيضاً رغبتهم العميقة في العودة إليها . وأنا أعرف أنكم تنظمون أنفسكم للوصول إلى هذا الهدف ، وعلى ذلك وبسبب فهمي هذا فإن عواطفى معكم .

(سارتر - في لقائه مع اللاجئين والشعب الفلسطيني في غزة في ١٠/٣/١٩٦٧)

- إنكم تطلبون منى خلال زيارتي لإسرائيل أو كما تعبرون عنها فلسطين المحتلة ، أن أزور هناك بعض القرى العربية مثل كفر قاسم وأن أرى وأتحدث مع العرب هناك . وهذا أمر لم أنسه بل إننى منذ البداية أبدت رغبتى الواضحة الصريحة في مقابلة العرب وأعدكم أننى سوف أفعل هذا وأزور جميع الأماكن التى طلبتم منى زيارتها والتحدث إلى العرب هناك وتحقيق حالتهم ووضعهم . وسوف أنشر في عدد مجلتى « العصور الحديثة » الذى سوف أصدره عن القضية من وجهتى النظر العربية والإسرائيلية وثيقة خاصة بالمنظمة العربية داخل إسرائيل المعروفة باسم الأرض : وإنى لأشكركم على هذه الصراحة فى الحديث معى وأستطيع أن أؤكد لكم أننى سوف أنقل وجهة

نظركم إلى فرنسا وزملائي الفرنسيين .

(سارتر - في لقائه مع اللاجئين والشعب
الفلسطيني في غزة في ١٠/٣/١٩٦٧)

— أستطيع مطمئناً أن أقرر لكم أنني أعترف دون تخفّظ
بالحق القومي لجميع اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى بلادهم .

(سارتر - في لقائه مع اللاجئين والشعب
الفلسطيني في غزة في ١٠/٣/١٩٦٧)

من حوار سارتر مع أساتذة وطلبة جامعة القاهرة :

— الذي أستطيع أن أقوله لكم الآن بعد أن زرت غزة
هو ملاحظتين : الأولى هي أنني أحسست إحساساً عميقاً
بمأساة كل هؤلاء اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون في
ظروف بائسة بل ولا تحتل في بعض الأحيان ، الذين يعيشون
على حدود البلد الذي كان بلدهم . والملاحظة الثانية هي أنني
أعتبر أن حق الفلسطينيين القومي في العودة إلى البلد الذي كانوا
يعيشون فيه هو حق لهم لا تجوز مناقشته إطلاقاً . ولن أذهب
في حديثي اليوم إلى أبعد من هذا ، لأنه قد يتساءل البعض
وكيف يعودون إلى بلادهم وما هي العلاقة التي يفترض أن توجد
بينهم وبين من يوجدون بإسرائيل اليوم إلخ ؟ أقول لن أذهب

إلى أبعد مما قلت وسأقول لكم السبب : إننا نقوم الآن في مجلة «العصور الحديثة» بتحضير عدد خاص عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، سنقدم فيه لأول مرة وجهة النظر العربية. بأقلام كتاب عرب ، وسيقدم هؤلاء الكتاب كل وجهات نظرهم ، ومن بين هؤلاء الكتاب كتاب فلسطينيون ينتمون إلى (منظمة التحرير أى الحكومة المؤقتة السرية) وفي نفس الوقت سنقدم وجهة نظر معروفة في فرنسا اليوم أكثر من وجهة النظر العربية وأعني بها وجهة النظر الإسرائيلية . سنقدم وجهتي النظر وذلك لأننا لو أعطينا وجهة نظر واحدة ، فإن إعلام الجمهور الفرنسي ، هذا الجمهور الذي أعرفه تماماً ، سيكون إعلاماً ناقصاً . إن الرأي العام الفرنسي في حاجة إلى وجهتي النظر لكي يحكم . ولكي نحصل على وجهتي نظر الجانبيين ، أعني العرب والإسرائيليين ، وهما يرفضان الحوار تماماً فيما بينهما فقد قرنا ، لأن نكون محايدين وإنما متغيين تماماً . أى أن نكون غير ممثلين على الإطلاق في هذا العدد . إن هذا العدد سيتكون من جزء سيكتبه الإسرائيليون وجزء آخر منفصل سيكتبه العرب ، ولن نضيف أى شيء أكثر من هذا . سنقول ببساطة إننا نقدم هذا العدد . مفهوم إذن أنه لن

يكون هناك حوار من أى نوع بين العرب والإسرائيليين ، كما أنه ليس هناك أى تدخل من جانبنا . فى مثل هذه الظروف لو أننى ذهبت إلى البحث فى أعماق المشكلة فإنى فى مثل هذه اللحظة سأكون منحازاً وإذا حدث فإنى أحنث بالعهد الذى قطعته على نفسى فى مواجهة هذا العدد الذى أعده ، إذن فإنى أتوقف عند حد هذا القول الذى أعلنته .

(سارتر - فى لقاءه مع أساتذة وطلبة وطالبات
جامعة القاهرة فى ١١ مارس ١٩٦٧)

فهرس

صفحة	
٥	هذا الحوار
١١	حوار مع "برتراند رسل"
٧٥	حوار مع "جان بول سارتر"
	وثائق :

- ١ — خطابات مفتوحة بين "رسل" و "الطليعة". ١١٦
- ب — آراء لسارتر حول القضية الفلسطينية خلال
زيارته للجمهورية العربية المتحدة وغزة في
أفراير — مارس ١٩٦٧ ١٦٢

مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٦٨

الكتاب
المقدم

إلى

عرب الأفريون

تأليف
محمد المزيب موسى

دارالمعارف بمطرو

تقدم في مجموعة (نوابغ الفكر الغربي)

- نيتشه
- جون ديوي
- برتراند رسل
- ديكارت
- برجسون
- باركلي
- بسكال
- سان سيمون
- أفلاطون
- كولردج
- جون ستورت مل
- جون لوك
- ديفد هيوم
- ت . س . إليوت
- شيلر
- كون
- تاييلور
- لدفيغ
- وليم جيمس

(ثمن الكتاب الواحد بين ٣٠ ، ٦٥)

هذا المعارف من دارالمعارف

Bibliotheca Alexandrina



1091069